شعراء افريقيون معاصرون للدولة الفاطمية *

بقلم : محمد اليعلاوي

تطلّب منّا بحثنا في حياة الشاعر الفاطميّ محمد بن هانىء وفي آثاره (1) أن نتساءل عن الشعراء الذين عاصروه ، إمّا معاصرة بالمعنى الضيّق ، أي عايشوه في نفس الفترة الزمنية ، مثل علي الايادي التونسيّ ، أو معاصرة بالمعنى الأوسع ، أي عاشوا في عصره وسبقوه أو تأخّروا عنه ببضع سنوات ، ومع ذلك عاصروا الدولة الفاطميّة وعرفوا أئمّتها وتعرّضوا لهم بالمدح أو بالذمّ ، أو بالمدح والذمّ معا ، شأن الفزاريّ أو سهل الورّاق اللذين انتصرا لأبي يزيد الخارجيّ ، كمعظم فقهاء القيروان وقد ظنّوا أنّ ثورة صاحب الحمار ناجحة لا محالة في تخليصهم من حكم بني عُبَيْد .

هذا دافعُنا الأوّل للاهتمام بهؤلاء الشعراء الافريقيّين المنتصرين لمذهب السنّة والجماعة المناهضين للدعوة الاسماعيليّة سرّا وعلانية . اهتممنا بهم لنقابلهم بابن هانىء في تشيّعه وتسخير طاقاته الكبيرة لخدمة الدعوة الاسماعيلية ونشر مناقب إمامها المعزّ لدين الله الفاطميّ (ت 976/365) .

ودافعُنا الثاني هو اعتقادُنا بوجوب الاهتمام بكافّة الفترات التي مرّ بها تاريخ افريقية والمغرب ، سواء من الناحية الاجتماعيّة والسياسية ، أو من الناحية

---

* هذا البحث أعد في مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية (الجامعة التونسية) – برنامج 1973 –

(1) محمد اليعلاوي : شاعر شيعي مغربي من القرن الرابع : ابن هانىء الأندلسي ، رسالة دكتوراه (بالفرنسية) مرقونة . باريس ، ماي 1973 .

الفكريّة المذهبيّة عامّة ، تلك التي نسمّيها « الحياة الثقافيّة » . ومنذ أعوام قليلة بدأت تظهر بواكير أعمال الباحثين التونسيّين في التعريف بتاريخ بلادهم ، بعد أن كان ذلك موكولا إلى بعض أعلام المستشرقين . ثمّ تجاوزت البحوث التاريخ المحض إلى تاريخ الحياة الفكريّة والأدبيّة ، فكانت رسالة زميلنا الأستاذ الشاذلي بويحيى في الحياة الأدبيّة زمن الصنهاجيّين (2) . ونحن ، إذ نكشف اليوم النقاب عن بعض الشعراء المغمورين ، نساهم ان شاء الله في احياء تراثنا ، حتى وان لم يكن من القيمة الأدبيّة بحيث يكافيء البحوثَ والجهود . فالأشياء بأضدادها تتميّز : فلعلّنا نقتنع بتفوّق ابن هانيء ان نحن قارناه بمعاصريه الذين شاطروه البيئة والأغراض وحتى الممدوحين .

هؤلاء الشعراء الذين اتّصلوا بالفاطميّين في فترتهم الافريقيّة ، منهم مَنْ وصلتنا بعض آثارهم كهؤلاء الثلاثة الذين تقدّم ذكرهم : الايادي والفزاري والورّاق ، ومنهم من وصلتنا أسماؤهم دون أبياتهم كابن قتار وابن الصيقل ، أو وصلتنا أبيات نزرة قليلة من شعرهم كمحمد البديل وأحمد بن افلح وأيوب ابن إبراهيم وغيرهم . ولا يخفى أن عدد الشعراء في النصف الأول من القرن الرابع لا ينحصر في هؤلاء الذين سنذكرهم ، وإنّما حصرنا بحثنا فيمن كان له بالفاطميّين اتّصال ، بصورة أو بأخرى .

(2) الشاذلي بويحيى : الحياة الأدبية بإفريقية في عهد بني زيري ، رسالة دكتوراه (بالفرنسية) مطبوعة بتونس سنة 1972 .

1 — علي بن محمد الايادي التونسي

بدأنا بعليّ التونسيّ لأنّه هو الذي نعرف عنه أنه عاصر حقّا ابن هانىء شاعر المعزّ الفاطميّ . بهذه المعاصرة يشهد الخبر الذي ورد في العمدة (1) « ... ولما وصل أبو القاسم (محمد) بن هانىء إلى إفريقية هجاه الشعراء ، « فقال لا أجيب منهم أحدا الا ان يهجوني عليّ التونسيّ ، فاني أجيبه . فلمّا « بلغ قوله عليّا ، قال : أما اني لو كنت الأم الناس ما هجوته بعد أن شرّفني « على أصحابي وجعلني من بينهم كفؤا له » .

ونحن ، ان صدقنا هذا الخبر ، وتصديقه صعب لأن ابن هانىء لم يكن هجّاء ، فاذا نستنتج منه أن عليّا هذا كان شاعرا مشهورا بالقيروان في منتصف القرن الرابع ، وان شهرته تجاوزت القيروان إلى بقيّة عواصم المغرب وحتّى إلى الأندلس . ذلك ان محمد بن هانىء دخل افريقيّة ، أي القيروان أو عاصمة المعز ، صبرة/المنصوريّة ، حوالي سنة 964/353 ، وكان قادما من المسيلة حاضرة الزاب الجزائري . فإذا كان له ، عند مقدمه إلى القيروان ، علم بمكانة الايادي ، فهذا يعني أنّ شهرة الايادي تجاوزت البلاط العبيديّ والقيروان .

ولا غرابة أن ينتشر صيته فيصل على الأقلّ إلى المسيلة واقليمها فالايادي أصيل تلك الجهة ، على الرغم من دعوته بـ« التونسيّ » ، أي المولود بمدينة تونس آنذاك . و« اياد » هذه التي ينُسب إليها ليست بالضرورة قبيلة « اياد ابن نزار» جدّ العرب العدنانيّين ولا قبيلة قسّ بن ساعدة الايادي . وانما هي فرع من قبيلة « الأثباج » التي كانت نازلة بجبال « المعاضيد » شمالي شطّ الحضنة والمسيلة . والأثباج ، مثل زغبة ورياح ، بطن من بني هلال (2) .

---

(1) ابن رشيق : العمدة ، نشر عبد الحميد ج 1 ص 111 .

(2) انظر الفصل الذي كتبه ب . ماسيارا عن « المسيلة من القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر » بـ« نشرة الجمعية التاريخية والجغرافية لجهة سطيف » (بالفرنسية) سنة 1941 ص 183 . وانظر كذلك فصل هـ . ر . ادريس عن « بني هلا ل » بدائرة المعارف الاسلامية الطبعة الجديدة .

وقد يعني هذا الانتساب أن بعض فروع بني هلال كانت قد استقرت بالمغرب قبل الزحف الهلاليّ بكثير . ومهما يكن من أمر ، فالايـاديّ مشترك بين الجزائر وتونس ، مثل ابن هانىء نفسه . وقد وصف هذه الجبال التي يرجع إليها نسبه الأوّل ، وذلك حين عرض لمقتل أبي يزيد الخارجيّ ، ومعلوم أنّ صاحب الحمار قد اعتصم في نهاية أمره بجبل « كيانة » ، في مجموعة جبال المعاضيد ، ومنها أخذ وقتـل .

ولا نعرف عن مولد الايادي شيئا سوى ما ذكره ح.ح. عبد الوهاب (3) ثمّ الشاذلي بويحيى (4) من أنّه « نشأ وتربّى بمدينة تونس » وأنّه عمّر طويلا (5)؛ أمّا وفاته ، فقد أرّخها ح.ح. عبد الوهاب بسنة 976/365 وهي السنة التي مات فيها المعزّ الفاطميّ . أمّا الشاذلي بويحيى فيرى أنّ الايادي عاش مدّة بعد المعزّ ، ولم يذكر هذان المؤلّفان مكان وفاته ، وان كنّا نستنتج ضمنيّا من عبارة ابن رشيق في « قراضة الذهب » (6) انّ الشاعر قد يكون توفّي بالقاهرة حيث كان التحق بالمعزّ بعد أن لاقى في طريقه إليه الأهوال والصعاب .

وقد عاصر الايادي خلفاء بني عبيد الأربعة : المهديّ (تـ 934/322) والقائم (946/334) والمنصور (953/341) ثمّ المعزّ . تشهد بذلك المقطوعات التي سنوردها من شعره ، كما تشهد بأنه خدمهم ومدحهم . فلذلك نستغرب أن يضيع شعره فلا تصلنا منه الا نتف مبثوثة في كتب الأدب والتاريخ . فإذا كان من شعرائهم الرسميين ، كما سيكون ابن هانىء ، فلماذا لم يعملوا على حفظ

---

(3) ح. ح. عبد الوهاب : مجمل تاريخ الأدب التونسي تونس 1968 ص 96 ، وهو طبعة منقحة من « المنتخب المدرسي من الأدب التونسي » .

(4) الشاذلي بويحيى : الحياة ... ص 39 .

(5) ابن رشيق : قراضة الذهب في نقد أشعار العرب تحقيق الشاذلي بويحيى تونس ، 1972 ص 102 .

(6) ابن رشيق : قراضة ... ص 103 .

شعره كما حُفظ شعر ابن هانىء ؟ وإذا كان شعره ، كما قال ابن شرف ، هو « المورد العذب ، ولفظه هو اللؤلؤ الرطب ، وهو بحتريّ الغرب ، يصف « الحمام فيروق الأنام ، ويشبّب فيعشق ويحبّب ، ويمدح فيمنح أكثر ممّا « يمنح ... » (7) ، فلماذا لم يصلنا منه هذا الوصف للحمام ، ولا هذا الغزل ولا هذا المديح ؟ ثمّ لماذا لم تذكره كتب الطبقات والتراجم كما ذكرت غيره ؟ فهذا كتاب « رياض النفوس » للمالكيّ ، على كثرة من ذكر من شعراء مناهضين للعبيديّين أو مناصرين لدعوتهم ، لم يتعرّض له قطّ . وكذلك ابن فضل الله العمريّ ، في مختاراته من شعراء الجانب الغربيّ كما يقول ، لم يذكره . وإنّما تعرّض إلى سميّ له ، عليّ (بن يوسف) التونسي الذي عاصر أمراء بني زيري المنصور وباديس والمعزّ (بين 373 و406 للهجرة) ، ممّا جعل الرواة يخلطون بينه وبين شاعرنا علي الاياديّ ، نظرا لأنّ كُلا من العليّيْن مدح منصورا ومعزّا.

ومهما يكن من سبب لخمول ذكره وفقدان شعره ، فإنّ الأبيات القليلة التي يتناقلها منه الرواة تشهد له ببراعة فائقة في تصريف وجوه الخيال في شعره الوصفيّ : وصف قصر البحر بالمنصوريّة ووصف أسطول القائم ووصف الخيل . وهذه المقطوعات تخلو غالبا من الاشارات السياسية إلى أحقّيّة الفاطميّين بخلافة المسلمين ، وإلى شرعيّة امامتهم ووجوب الولاء لهم ، وهي المعاني التي تطفح بها مدائح ابن هانىء للمعزّ العبيديّ . ولعلّ هذا الاعتدال في الاشارات الشيعيّة — ان لم يكن ناتجا عن حذف من الرواة — هو الذي جعله مغمورا عند الفاطميّين وطمس آثاره في كتبهم وحتى في كتب منافسيهم .

ونسوق الآن ما عثرنا عليه من شعر علي بن محمد الايادي ، مرتّبا حسب الامكان ترتيبا تاريخيّا ، ونذكر اثر كلّ مقطوعة المصادر التي استقيناها

---

(7) ابن شرف : المقامة النقدية ضمن ذخيرة ابن بسام ج 3 ص 165 وقد سماه « علي بن العباس » وانظر كذلك مسائل الانتقاد نشر شارل بلا ، الجزائر 1953 ص 9 .

منها ، ونعلّق عليها كلّما أمكن التعليق . وانّ عملنا هنا لا يتجاوز الجمع والترتيب والتوضيح أحيانا ، فلا كشف فيه ولا اكتشاف في شأن هذا الشاعر ، من مصادر مخطوطة أو مجهولة .

المقطوعة الأولى :

« ... ومثل هذا جرى لعليّ التونسيّ الايادي ، فانه قال قصيدته :

« جَادَتْكَ صَادِقَةُ المَخَائِلِ طَوْعُ الجَنَائِبِ وَالخَمَائِلْ

« مَرْهَاءُ دَانِيَةُ الرَّبَابِ تَكَادُ تُلْمَسُ بِالأَنَامِلْ ...

(كامل مجزوء)

« يخاطب بها أبا القاسم عبد الله (القائم) وابنه إسماعيل (المنصور) ويحضّه

« على الخروج من حصار المهديّة إلى قتال أبي يزيد ، وهي مشهورة

« بالمغرب ... » .

المصدر :

قراضة الذهب تحقيق الشاذلي بويحيى ص 102/101 .

تعليق :

أورد ابن رشيق هذين البيتين ضمن استشهاده على السرقات الشعريّة ، أو السلخ في المعاني أو التوارد في الخواطر ، وأردفهما بالبيتين الذين نظمهما الشاعر الشاميّ السريّ الرفّاء (ت 361هـ/972م) فسلخ فيهما بيتي الايادي .

ولا يستبعد أن تكون أشعار المغاربة معروفة في الشرق في ذلك العهد ، وخصوصا بعد فتح مصر والشام للدولة الشيعيّة ابتداء من سنة 969/358 . واذا عُرفت أشعار المغاربة في الشرق ، فلا غرابة أن تروى وتسلخ وتسرق . وقد

أردف ابن رشيق هذا الشاهد على تأثّر المشارقة بالمغاربة بمثال آخر ، وهو قصيد لعليّ الايادي نفسه ، نسبه المشارقة إلى الوأواء الدمشقي (ت 385/995) .

وقد كان شعراء المشرق يأملون من الفاطميّين رفدهم ، والدليل على هذه الرغبة في خدمة الدولة الافريقيّة ما روي عن عزم المتنبّي في التحوّل إلى القيروان ، أو ، وهو أوضح ، القصيدة التي بعث بها الصنَوْبَريّ (ت 334/945) إلى أمير الزاب جعفر بن حمدون (8) .

المقطوعة الثانية :

« ... لمّا انتقل الامام المهديّ بالله — صلّى الله عليه — من رقّادة إلى « المهديّة التي سمّاها باسمه فكانت كما قال عليّ بن محمّد الايادي :

« دَارُ مُلْكٍ سُمِّيَتْ مَهْدِيَّةً فَبِهِ تُعْرَفُ مَا طَالَ الأَبَدْ

(رمل)

« جرى بين رجاله من الكتاميّين الخ ... » .

المصدر :

سيرة الأستاذ جوذر نشر محمد كامل حسين وعبد الهادي شعيرة — القاهرة بدون تاريخ ص 37 .

التعليق :

ليس من الضروريّ أن يكون هذا البيت نُظم في زمن المهديّ بالذات ، فربّما اندرج ضمن قصيد استعرض فيه الايادي تاريخ الأئمة . وإلى هذا الرأي

(8) ديوان الصنوبري ، نشر احسان عباس بيروت 1970 ص 28 وفي شأن هذه القصيدة راجع مسائل الانتقاد ص 37 .

نميل ، إذا قابلنا هذا البيت بالأبيات التي تعرّض فيها الايادي إلى مقتل أبي يزيد وهي أبيات من نفس الوزن وعلى نفس الرويّ . يقول صاحب سيرة الأستاذ جوذر – وجوذر هو أحد كبار الموظّفين في بلاط المعزّ – «... تعرف « القلعة » بـ « كيانة » وهي في الوصف كما قال علي بن محمد الايادي يصفها « ويذكر اللعين أبا يزيد ونزوله منها :

	« فارْتَقَى المَلعُونُ من خيفتِهِ	في ذُرَى أعْيَطَ عالٍ مُصَّعِدْ (9)
	« في ذُرَى خَلْقاءَ مَلْساءَ عَلَى	ذلك المعقِلِ ليستْ بِصَدَدْ (10)
	« مَعْقِلٌ من فوْقِهِ اللّهُ ومنْ	تَحتِهِ المنصُورُ في جيشٍ مَعَدّْ
	« فارْتقى المنصُورُ بِالسَّيفِ لهُ	يَوْمُ طَعْنٍ كشآبيبِ البَرَدْ
5	« وَاثِقًا بِاللّهِ فِي غُرْبَتِهِ	من بَنِي أحْمَدَ نَاءٍ مُنْفَرِدْ
	« فإذا مَخْلَدٌ في كفِّ الرَّدَى	مُوثَقُ الجِيدِ بحبلٍ من مَسَدْ
	« قد رَمتْهُ الحربُ عن غاربِهَا	وَاهي الرُّكْنِ ذَلِيلَ المُسْتَنَدْ
	« كنَفيضٍ أخرَجَتْهُ أمُّــهُ	ليس إلاّ نَبْضَ عِرْقٍ وَجَسَدْ
	« فأوَى منْ كَرَمِ المنصُورِ في	كَنَفِ رَحْبٍ وَخَفْضٍ وَرَغَدْ
10	« طَلَبًا مِنْهُ لِتَبْقَى رُوحُـهُ	وَبَقاءُ الرُّوحِ أشْقَى لِلكَمَدْ
	« فأبَى اللّهُ سِوَى إعْجَالِهِ	وَعَذَابُ اللهِ لِلجِسْمِ أهَدّْ
	« فَنَضَا عَنْهُ أدِيمًا دَنِسًا	كانَ قدْ أسْرَفَ فِيهِ وَمَرَدْ
	« كأديمِ التَّيسِ لمَّا لم يَطِبْ	رِيحُهُ جُرِّدَ مِنْهُ فَانْجَرَدْ
	« وَحَشَاهُ سَالِخُوهُ سَعَفًا	مَالِئًا بَيْنَ كُعُوبٍ وَكَتَدْ
15	« ثمَّ رَقَّاهُ عَلَى مُسْتَحْصِدٍ	بَاسِقٍ أجْرَدَ مَا فيهِ أوَدْ »

(9) القصر الاعيط هو الشامخ المنيف .

(10) والخلقاء : المستوية الجبين ولعله يعني صعوبة الصعود إليها . وليست بصدد قد تعني : ليست بقريبة المنال .

المصـــدر :

سيرة الأستاذ جوذر ، النصّ العربيّ ص 48ـ49 والترجمة الفرنسيّـة لماريوس كانار ، الجزائر 1958 ص 69ـ70 .

التعليــق :

هذه المقطوعة تلفت الانتباه إلى الأمور التالية :

1 ـ البيت الثالث قد يشعرنا بعبارته « في جيش مَعَدّ » بانّ أبا تميم معد ابن المنصور ، وهو المعزّ لدين الله فيما بعد ، كان آنذاك ، أي في سنة 336 ، ولـيّ العهد للمنصور . وهذا يخالف ما ذهب إليه ابن عذاري من أنّه لم يرتق إلى ولاية العهد الاّ سنة 340 ، أي عاما واحدا قبل وفاة المنصور وارتقائه هـو الخلافة . وفهمُنا لعبارة « معدّ » هو الذي يحملنا على هذا التأويل ، فـ« معدّ » هو اسم المعزّ ، ولا نفهم الكلمة كما فهمها ماريوس كانار في ترجمته للسيرة ، « جيش مُعدّ » اسم مفعول من أعدّ ، أي جيش كامل العدّة .

ومن هذا نتطرّق إلى تأويل آخر : وهو أنّ القصيدة قد نظمت في عهد المعزّ ، لافي خلافة المنصور ، وانّها في الحقيقة استعراض لتاريخ الأئمّة منذ بداية خلافتهم بالمغرب ، فلذلك ورد تأسيس المهديّة في البيت السالف الذكر . ولو عثرنا على القصيدة كاملة ، لوجدنا فيها أيضا عرضا لخلافة القائم وخلافة المعـزّ .

2 ـ التصوير « الواقعي » لنهاية أبي يزيد الفظيعة : قتله ، ثمّ سلخه ، وحشو اهابه بالتبن ، ووضعه على فرس يطوف به في أنحاء البلاد . وقد أجـاد الايادي في تصوير هذا التشفّـي من الثائر ، وربّما أفادنا بشيء اختلف فيـه المؤرّخون ، وهو موت مَخْلَد بُعَيْدَ أسره بقليل ، فلم يرسله المنصور حيّا إلى المهديّة كما يقول بعضهم ، بل نفهم من البيت العاشر انّ الخليفة أسف لهذا الموت السريع الذي منعه من التنكيل بعدوّه كما يريد ، فانتقم من جثّته .

3 — انحياز الايادي إلى حزب الفاطميّين لم يظهر إلاّ في عبارة « بني أحمد » التي تشير إلى ما ادّعوه من صلة بفاطمة الزهراء وانتساب إلى بيت محمّد (أحمد) عليه السلام . فكأنّه لم يعتبر في هذه الحرب الاّ الملك الممدوح والثائر الممقوت ، دون نظر إلى التشيّع من جهة والى الاباضيّة من جهة أخرى ، وفي هذا الاعتدال تدعيم لما ذهبنا إليه من أنّ الايادي كان شاعر بلاط ، لا غير ، ولم يكن شاعر فكرة ودعوة كما سيكون ابن هانىء .

المقطوعة الثالثة :

« ... وقال علي بن محمد الايادي يمدح المعزّ ويصف دار البحر بالمنصوريّة (الحصري) .

« ... وقال يصف القصر الذي أنشأه المنصور بصبرة (المنصورية) سنة 337 (ح.ح. عبد الوهاب)

« وَلَمَّا اسْتَطَالَ الـمَجْدُ وَاسْتَوْلَتِ البُنَى
عَلَى النَّجْمِ ، وَامْتَدَّ الرِّوَاقُ الـمُرَوَّقُ

« بَنَى قُبَّةً لِلْمُلْكِ فِي وَسْطِ جَنَّةٍ
لَهَا مَنْظَرٌ يُزْهَى بِهِ الطَّرْفُ مُونِقُ

« بِمَشْقُوقَةِ السَّاحَاتِ ، أَمَّا عِرَاصُهَا
فَخُضْرٌ ، وَأَمَّا طَيْرُهَا فَهِيَ نُطَّقُ

« تَحُفُّ بِقَصْرٍ ذِي قُصُورٍ كَأَنَّمَا
تَرَى البَحْرَ فِي أَرْجَائِهِ يَتَدَفَّقُ (11)

5. « لَهُ بِرْكَةٌ لِلْمَاءِ مِلْءَ فَضَائِهِ
تَخُبُّ بِقُطْرَيْهَا العُيُونُ وَتَعْنَقُ (12)

---

(11) عبارة زهر الآداب ... في أرجائه وهو متأق .

(12) الخبب والعنق ضربان من سير الدواب .

« لَهَا جَدْوَلٌ يَنْصَبُّ فِيهَا كَأَنَّهُ
حُسَامٌ جَلاَهُ القَيْنُ بِالأَرْضِ مُلْصَقُ

« لَهَا مَجْلِسٌ قَدْ قَامَ فِي وَسْطِ مَائِهَا
كَمَا قَامَ فِي فَيْضِ الفُرَاتِ الخَوَرْنَقُ

« كَأَنَّ صَفَاءَ المَاءِ فِيهَا وَحُسْنَهُ
زُجَاجٌ صَفَتْ أرجَاؤُهُ فَهْوَ أَزْرَقُ

« إذَا بَثَّ فِيهَا اللَّيْلُ أَشْخَاصَ نَجْمِه
رَأَيْتَ وُجُوهَ الزِّنْجِ بِالنَّارِ تُحْرَقُ

10. « وَإِنْ صَافَحَتْهَا الشَّمْسُ لاحَتْ كَأَنَّهَا
فِرِنْدٌ عَلَى تَاجِ المُعِزِّ وَرَوْنَقُ

« كَأَنَّ شُرَافَاتِ المَقَاصِرِ حَوْلَهَا
عَذَارَى عَلَيْهِنَّ المُلاءُ المُمَنْطَقُ

« يَذُوبُ الجُفَاءُ الجَعْدُ عَنْ وَجْهِ مَائِهَا
كما ذابَ آلُ الصَّحصَحانِ المرَقرَقُ...» (13)

(طويل)

المصـدر :

الحصري : زهر الآداب ، نشر علي محمّد البجاوي ـ القاهرة 1953 ج 1 ص 189/190./ح.ح. عبد الوهاب : مجمل ... ص 97 .

وإلى هذه القصيدة يمكن أن نضيف ثلاثة أبيات نقلها صاحب « كنز الدرر » في القسم السادس الخاصّ بالفاطميّين :

(13) الآل : السراب،/ والصحصحان : الأرض الجرداء الملساء والجفاء : الزبد المتراكم [المادة جفا] .

« ... وَقَدْ كَانَتْ الأَيَّامُ خُرْسًا فَأَصْبَحَتْ
لَهَا أَلسُنٌ بِالشكرِ لِلَّهِ تَنطِقُ
« فَمَا بَعْدَ هَذَا لِلْوَسَائِلِ مَلْجأ
وَلاَ لِلْمُنَى فِي غَيْرِهِ مَتَعَلَّقُ
« فَقَدْ وَضَعَتْ تِلْكَ الْمَوَاعِيدُ حمْلَها
تَمَامًا ، وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلكَ تُطْلَقُ ... »

وهي أبيات من نفس الوزن والرويّ وهي بدون شك جزء من القسم المدحيّ للقصيدة نفسها . وقد ذُكِر في المرجع نفسه بيتٌ آخر لا نخاله من نفس القصيدة ، لأنّ القافية فيه مؤسّسة الرويّ ، اي تضمّنت ألفا يفصلها عن الرويّ حرف متحرّك ، في حين أنّ الأبيات السالفة الذكر ليست مؤسسة . ويمكن اعتبار هذا البيت مقتطعا من هذه القصيدة ، شريطة أن نغضّ الطرف عن هذا العيب في القافية ، وهو ما يسمّى بـ« سناد التأسيس »

« ... كَأَنَّ مُلُوكَ الأَرْضِ حَوْلَ بِسَاطِهِ
كَوَاكِبُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ غَوَارِقُ »

المصـدر :

الدواداري : كنز الدرر ، ج 6 : الدرّة المضيّة في أخبار الدولة الفاطميّة ، القاهـرة 1961 ج 118 .

التعليـق :

1 — عبارة الحصري في تقديم الأبيات أدقّ من عبارة ح.ح. عبد الوهاب. فالعلاّمة التونسي ، وقد كان مؤرخا مهتمّا بالمعالم الحضاريّة خاصة ، أراد أن يشعر القارىء بأن المنصور هو الذي شيّد القصر ، فغمُضَ قصدُه اذ قد يتوهّم القارىء أن الايادي أنشد القصيدة للمنصور لا للمعز . والبيت العاشر لا يدع مجالا للشك في أنّه قصيد مهدى إلى المعزّ .

2 — وانّا لنستغرب وجود هذا الوصف للقصر عند الايادي ، مع خلوّ شعر ابن هانىء منه ، والحال أنّ ابن هانىء كان الشاعر الرسميّ للدولة المشيد بمجدها الناعي على خصومها . فهل يعني هذا أنّ محمد بن هانىء كان متفرّغا للناحية المذهبيّة أو « السياسيّة » كما نقول اليوم ، فلا اهتمام له بالاحتفالات والمواكب والبلاطيّات ؟ لا نستبعد هذا الانصراف ، خصوصا إذا تذكّرنا أنّه كثيرا ما وصف قصور بني حمدون حين كان عندهم بالمسيلة .

3 — وانّ وصف الايادي لهذا القصر ، على جماله ، لا يخلو من دقّة : فهذه البركة عظيمة واسعة ، وربما كانت على شكل مستطيل ، إذا ما فهمنا عبارة « قُطْرَيْهَا » (البيت 5) على أنّهما قطران متقاطعان كما في المربّع أو المستطيل . وكان في وسطها بناء صالح للجلوس وتسريح النظر ، على شكل ما يلاحظ اليوم في « فسقيّة » الأغالبة الكبرى بالقيروان . ثمّ انّ هذه البركة منقورة في ساحة فسيحة محاطة بالأشجار وكانت تضاء بالقناديل ليلا ، وعلى حوضها تفتح أو تشرف أبواب الغرف . ولا شيء يمنع من تخيّل هذا القصر على شكل دائرة محيطة بالبركة ، تفتح جميع مقاصيره على البركة . بهذا النظام تشعرنا عبارة « قبّة » في البيت الثاني . ولعلّ المعاينة على المكان تؤيّد وصف الايادي ، ولا سيّما في شكل البركة ذات القطرين (14) .

4 — وفي الجانب المدحيّ ، نلاحظ انّ المعاني التي اهتمّ بها الايادي هي رغد العيش في كنف المعزّ ، فعبّر عن هذه السعادة بصورة المرأة الحبلى بالمواعيد الطيّبة ، وقد وضعت حملها ، أي حقّقت الأماني . ولا نجد حديثا عن شرعية الامام ، ولا عن توفيقه وهديه .

(14) انظر ما كتبه جورج مارسي عن قصور المنصورية في كتابه عن « الفن الاسلامي » ، باريس 1926 ج 1 ص 119 .

المقطوعة الرابعة :

« وقال علي بن محمد الايادي يصف أسطول القائم فأجاد ما أراد :

« أعجبْ لأسطولِ الإمَامِ مُحَمَّدِ
وَلِحُسْنِهِ وَزَمَانِهِ الْمُسْتَعْذَبِ

« لَبِسَتْ بِهِ الأمْوَاجُ أحْسَنَ منْظَرٍ
يَبْدُو لِعَيْنِ النَّاظِرِ المُتَعَجِّبِ

« منْ كُلِّ مُشْرِفَةٍ على مَا قَابلَتْ
إشْرَافَ صَدْرِ الأجْدَلِ المتنصِّبِ

« دهمَاءُ قَدْ لَبِسَتْ ثِيَابَ تَصَنُّعٍ
تَسْبِي العقولَ على ثِيَابِ تَرَهُّبِ

5. « منْ كُلِّ أبيضَ في الهوَاءِ مُنَشَّرٍ
منْهَا ، وَأسْحَمَ في الخَلِيجِ مُغَيَّبِ

« كَمُلاءَةٍ فِي البَرِّ يَقْطَعُ شَدُّهَا
في البَحْرِ أنْفَاسَ الرِّيَاحِ الشُّذَّبِ

« مَحْفُوفَةٌ بمجادفٍ مصفُوفَةٍ
فِي جَانِبَيْنِ دُوَيْنَ صُلْبٍ صُلَّبِ

« كَقَوَادِمِ النَّسْرِ المُرَفْرِفِ عُرِّيَتْ
مِنْ كَاسِيَاتِ رِيَاشِهِ المُتَهَدِّبِ

« تَحتَثُّهَا أيْدِي الرِّجَالِ إذَا وَنَتْ
بمصَعَّدٍ مِنْهُ بُعَيْدَ مُصَوَّبِ

10. « خرقَاءُ تَذْهَبُ إنْ يَدٌ لَمْ تَهْدِهَا
فِي كُلِّ أوْبٍ لِلرِّيَاحِ وَمَذْهَبِ

« جَوْفَاءُ تَحْمِلُ مَوْكبا في جَوْفِهَا
يَوْمَ الرِّهَانِ وَتَسْتَقِلُّ بِمَوْكِبِ

« وَلَهَا جَنَاحٌ يُسْتَعَارُ يُطِيرُهَا
طَوْعَ الرِّيَاحِ وَرَاحَةِ المُتَطَرِّبِ

« يَعْلُو بِهَا حَدْبَ العُبَابِ مُطَارَةً
فِي كُلِّ لُجٍّ زَاخِرٍ مُغْلَوْلِبِ

« تَسْمُو بِأجْرَدَ في الهَوَاءِ مُتَوَّجٍ
عُرْيَانَ مَنْسُوجِ الذَّوَائِبِ شَوْذَبِ

15. « يَتَنَزَّلُ المَلاَّحُ مِنْهُ ذُؤَابَةً
لَوْ رَامَ يَرْكَبُهَا القَطَا لَمْ يَرْكَبِ

« فَكَأنَّمَا رَامَ اسْتِرَاقَةَ مَقْعَدٍ
لِلسَّمْعِ إلاَّ أنَّهُ لَمْ يُشْهَبِ

« وَكَأنَّمَا جِنُّ ابْنِ دَاوُدٍ هُمُ
رَكِبُوا جَوَانِبَهَا بِأعْنَفِ مَرْكَبِ

« سَجَرُوا جَوَاحِمَ نَارِهَا فَتَقَاذَفُوا
مِنْهَا بِألْسُنِ مَارِجٍ مُتَلَهِّبِ

« من كلِّ مَسْجورِ الحريقِ إذا انبَرَى
منْ سِجْنِهِ انصَلَتَ انصِلاَتَ الكوْكبِ

20 « عُرْيَانُ يَقْدُمُهُ الدُّخَانُ كَأنَّهُ
صُبْحٌ يَكُرُّ عَلى الظَّلاَمِ الغَيْهَبِ

« وَلَوَاحِقٍ مِثْلِ الأهِلَّةِ جُنَّحٍ
لُحُقِ المَطَالِبِ فَائِتَاتِ المَهْرَبِ

« يَذْهَبْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ لَطَافَةً
ويجلنَ فِعْلَ الطَّائِرِ الْمُتَغَلِّبِ

« كَنَضَائِضِ الحيَّاتِ رُحْنَ لَوَاعِبًا
حتَّى يَقَعْنَ بِبِرْكِ مَاءٍ المِيزَبِ

« شَرَعُوا جَوَانِبَهَا مَجَادِفَ أَتْعَبَتْ
شَأْوَ الرِّيَاحِ لَهَا وَلَمَّا تَتْعَبِ

25 « تَنصَاعُ مِنْ كَثَبٍ كما نَفَرَ القَطَا
طَوْرًا وَتَجْتَمِعُ اجْتِمَاعَ الرَّبْرَبِ

« وَالبَحْرُ يجمعُ بينهَا فكَأَنَّه
لَيْلٌ يُقَرِّبُ عَقْرَبًا مِنْ عَقْرَبِ

« وَعَلَى مَرَاكِبِهَا أُسُودُ خِلَافَةٍ
تَخْتَالُ فِي عُدَدِ السِّلَاحِ المُذْهَبِ

« فكَأَنَّمَا البَحْرُ اسْتَعَارَ بِزِيِّهِم
ثَوْبَ الجَمَالِ مِنَ الرَّبِيعِ المُعْجِبِ »

(كامل)

المصـدر :

الحصرى : زهر ... ص 1003 .

ابن الأبّار : الحلّة السيراء ، القاهرة 1963 ج 1 ص 285 (ذكر منها بيتين لا غير) .

المقري : نفح الطيب نشر احسان عبّاس ببيروت 1968 ج 4 ص 57 .

ح. ح. عبد الوهاب : مجمل ... ص 98 .

التعليـــق :

1 — هذه القصيدة البديعة معروفة ، على الأقلّ في قسمها الوصفيّ هذا ، قد درسها الشيخ الشاذلي النيفر في بحثه عن الأساطيل الحربيّة في الأدب بمجلّة الثريّا التونسيّة (15) وقد ضاع القسم المدحيّ منها . ولا شكّ ، إذا اعتبرنا انّها موجّهة إلى القائم الخليفة الثاني ، أنّها أقدم مقطوعة لدينا من شعر الايـادي .

2 — يلفت انتباهنا وصفُ الشاعر للون المراكب : فهي سوداء مطليّة بالقطران ، ولذلك سمّاها ابن هانىء « القاريات السود » (انظر القصيدة 13 من ديوانه ، نشر المرحوم زاهد علي الاسماعيلي الحيدرابادي) . وكذلك وصف آلات الاحراق التي تُطلِقُ ما اصطُلِحَ عليه في القديم بـ« النار اليونانيّة » (feu grégeois) وهي موادّ كيماويّة ملتهبة تقذف على السفن المعادية فتحرقها ، وقد كان لهذا السلاح شأن كبير عند الفاطميّين ، وبفضله ملكوا زمام البحر طيلة القرن الرابع/العاشر وقطعوا سبل الروم فيه ، كما يقول ابن هانىء . لكنّ الايادي لا يصف هذه المراكبَ في حالة حرب ، اذ لا ذكـر للروم في الأبيات ، ولعلّه يصف استعراضا بحريا بمناسبة عيد من الأعياد : ذاك ما يُشْعِرُ به البيت 25 .

3 — لفظ « المتطرّب » في البيت 12 قد يعني الشخص الذي يوكل أمر القيادة إليه بدليل قوله « طوع راحته » ، وكذلك يوكل إليه أمر تنشيط الضاربين بالمجادف ، فلعلّه كان ينقر على طبل بايقاع موزون يتّبعه الجاذفون في تصعيد المجاذيف وتصويبها . وهذه المراكب لا تسير بقوّة المجاذيف فقط ، بل بقوّة الرياح أيضا (البيت 12) .

4 — لقد وصف ابن هانىء الأسطول الفاطميّ كثيرا ، ولكنّه لم يبلغ درجة الايادي في دقّة الملاحظة ، وحسن الايحاء واختيار الصور اللطيفة المعجبة.

(15) الثريا ، سنة 1944 ، العدد 9 ، ص 12 .

المقطوعة الخامسة

« وَأَقَبَّ مِنْ لُحُقِ الجِيَادِ كَأَنَّهُ
قَصْرٌ تَبَاعَدَ رُكْنُهُ عَنْ رُكْنِهِ (16)

« لَبِسَتْ قَوَائِمُهُ عَصَائِبَ فِضَّةٍ
وَغَدَتْ بِسُمْرِ صَفَا المَسِيلِ وَدُكْنِهِ

« وَكَأَنَّمَا انْفَجَرَ الصَّبَاحُ بِوَجْهِهِ
حُسْنًا أَوِ احْتَبَسَ الظَّلاَمُ بِمَتْنِهِ

« قَيْدُ العُيُونِ إِذَا بَصُرْنَ بِشَخْصِهِ
وَرِضَا القُلُوبِ إِذَا اصْطَلَيْنَ بِضِغْنِهِ

5 « مُتَسَيْطِرٌ بِالرَّاكِبِينَ كَأَنَّهُ
بَازٍ تَرُوحُ بِهِ الجَنُوبُ لِوَكْنِهِ

« يَسْتَوْقِفُ اللَّحَظَاتِ فِي خَطَرَانِهِ
بِكَمَالِ خِلْقَتِهِ وَدِقَّةِ حُسْنِهِ

« حُلْوُ الصَّهِيلِ تَخَالُ فِي لَهَوَاتِهِ
حَادٍ يَصُوغُ بَدَائِعًا مِنْ لَحْنِهِ

« مُتَجَبِّرٌ يُنْبِي بِعِتْقِ نِجَارِهِ
إِشْرَافُ كَاهِلِهِ وَدِقَّةُ أُذْنِهِ

« ذُو نَخْوَةٍ شَمَخَتْ بِهِ عَنْ نِدِّهِ
وَشَهَامَةٍ طَمَحَتْ بِهِ عَنْ قِرْنِهِ

10 « وَكَأَنَّهُ فُلْكٌ إِذَا حَرَّكْتَهُ
جَارٍ عَلَى سَهْلِ البِلاَدِ وَحَزْنِهِ

---

(16) الأقب من الخيل : الضامر البطن .

« قد رَاحَ يَحْمِلُ جعفرَ بْنَ مُحَمَّدٍ
حَمْلَ النَّسِيمِ لِوَابِلٍ مِنْ مُزْنِهِ »

المصـدر :

زهـر الاداب ص 314 .

ح. ح. عبد الوهاب : تاريخ ... 98 .

تعليـق :

الأمير جعفر هو أحد أبناء القائم ، وهو حينئذ أخ للمنصور . وهذه الأبيات جزء من مدحة ، قطعه الحصري في البيت الأول من المديح .

المقطوعـة السادسـة :

« من مدائح المنصور لمّا أظهر أبوه القائم بأمر الله بيعته في سنة 334 » ، فقال التونسي :

« أمَا وَالقَنَا الظَمْآنِ حِلْفَةَ مُغْرَمٍ
وَجُرْدِ المَذَاكِي وَالصَفِيحِ المُقَوَّمِ
« وَشَهْبَاءَ مِنْ نَسْجِ الحَدِيدِ كَأَنَّمَا
تُكَلِّلُهُ تَحْتَ العَجَاجِ بِأَنْجُمِ
« مُسَوَّمَةً رَاحَتْ رَوَاحًا وَأَرْبَحَتْ
لِإدْرَاكِ ثَأْرٍ أَوْ لِإحْرَازِ مَغْنَمِ
« لَقَدْ سَنَّ إسْمَاعِيلُ سُنَّةَ جَدِّهِ
لِكُلِّ فَصِيحٍ فِي البِلَادِ وَأَعْجَمِ
5. « وَقَلَّدَ حَقَّ المُسْلِمِينَ بِحَقِّهِ
فَتَمَّتْ بِهِ النُّعْمَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمِ

« وَكَانَ بِحَمْدِ اللّهِ أَمْنًا لِخَائِفٍ
وَعِزًّا لِمَغْلُوبٍ وَعَيْشًا لِمُعْدِمِ

« فَيَا بَهْجَةَ الدُّنْيَا بِأَيَّامِهِ ابْهَجِي
وَيَا بَيْضَةَ المُلْكِ اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي

« وَيَا جَمْرَةَ الحَرْبِ العَوَانِ قَدِ انْبَرَى
لَكِ البَحْرُ زَهْوًا فَاخْمُدِي أَوْ تَضَرَّمِي

« وَقَدْ قَامَ بِالدُّنْيَا وَبِالدِّينِ فَاسْتَوَتْ
أُمُورُهُمَا مِنْ هَاشِمٍ خَيْرُ قَيِّمِ

10 « مِنَ الفَاطِمِيِّينَ الذِينَ إِذَا انْتَمَوْا
إِلَى المَجْدِ غَطَّى رَأْسَهُ كُلُّ مُنْتَمِ

« مَلِيكٌ إِذَا سَلَّ السُّيُوفَ عَلَى العِدَى
دَجَا اللَّيْلُ أَوْ تُرْوَى السُّيُوفُ مِنَ الدَّمِ

« بَدِيهَتُهُ فِينَا كَفِكْرَةِ غَيْرِهِ
إِذَا هُوَ أَمْضَى الأَمْرَ لَمْ يَتَنَدَّمِ

« فَنِعْمَ مَلاَذُ المُسْلِمِينَ وَكَهْفُهُمْ
إِذَا مَا خُطُوبُ الدَّهْرِ جَاءَتْ بِصَيْلَمِ

« وَنِعْمَ خَطِيبُ النَّاسِ فِي كُلِّ فَيْصَلٍ
إِذَا الخَطْبُ فِيهِ سَدَّ بَابَ التَّكَلُّمِ »

(طويل)

المصـدر :

الدواداري : الدرّة المضيّة ... ص 117 .

التعليـق :

هذا المديح للمنصور الخليفة الثالث ، وان تضمّن بعض الاشارات إلى المذهب الفاطميّ ، الاّ أنّه دون ما سينطق به محمّد بن هانيء بكثير . فكأنّ الايادي يمدح ملكا من الملوك ، لا إماما ذا مذهب ودعوة وطموح إلى جمع كلمة المسلمين تحت رايته .

مقطوعات متفرقة

المقطوعة السابعة :

« طَيْفٌ يزُورُكَ مِنْ حَبِيبٍ هَاجِرِ
أهْلاً بِهِ وَبِطَيْفِهِ مِنْ زَائِرِ

« شَقَّ الدُّجى وَسَرَى فَأمْعَنَ في السُّرَى
حَتَّى ألَمَّ فَبَاتَ بَيْنَ مَحَاجِرِي

« يَحْدُو بِهِ هَيَفُ القَوَامِ المُنْثَنِي
نَحْوِي وَسَالِفَةُ الغَزَالِ النَّافِرِ

« لِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ خَيَالٍ وَاصِلٍ
أسْرَى فَأنْصَفَ مِنْ حَبِيبٍ هَاجِرِ

05. « عَلَّلْتَ عِلَّةَ قَلْبِ صَبٍّ هَائِمٍ
وَقَضَيْتَ ذِمَّةَ فَيْضِ دَمْعٍ قَاطِرِ»

(كامل)

المصدر :

الحصري : زهر ... ص 703 .

الشريف المرتضى : طيف الخيال ، نشر حسن الصيرفي وإبراهيم الأبياري ، القاهرة 1962 ص 249 .

التعليـــق :

في نقل الشريف المرتضى (355–436) لهذه الأبيات دليل على انتشار شعر المغاربة بالمشرق منذ القرن الرابع ، أي في مدّة الايادي نفسه .

المقطوعـة الثامنـة :

« أمَا انَّــهُ لَوْلاَ الخَيَــالُ المُــرَاجِـعُ
وَعَــاص يُرَى فِـي النَّوْمِ وَهْوَ مُطَـاوِع
« لأشْفَقَ وَاسْتَحْيَـى مِـنَ النَّوْمِ وَالِهٌ
يُـرَى بَعْدَ رَوْعَـاتِ الهَـوَى وَهوَ هَـاجِـع »

(طويل)

المصـــدر :

الحصـري : زهر ... ص 703 .

الشريف المرتضى : طيف الخيال ص 348 .

المقطوعـة التاسعـة :

« مَسَـحَ الظَّلاَمُ بِعُرْفِهِ يَدَهُ   وَمَشَى فَقَبَّلَ وَجْهَهُ البدْرُ »

(كامـل)

المصـــدر :

الحصـري : زهـر ... ص 311 .

المقطوعـة العاشـرة :

« ... أخذه علي بن محمّد الايادي وقال فأحسن السرقة ولطف في الأخذ :

« بالجِزْعِ فالخَبْتَيْنِ أشْلاَءُ دارْ   ذَاتِ لَيَالٍ قَدْ تَوَلَّتْ قِصَارْ

« بانوا فَمَاتَتْ أسَفًا بَعْدَهُمْ وَإنَّمَا النَّاسُ نفوسُ الدِّيَارْ

(سريع)

المصـدر :

زهر الاداب ص 684 .

تعليـق :

ولكنهما ينسبان إلى ابن هانىء في بعض مخطوطات ديوانه ، وقد أثبتهما الناشر زاهد علي في آخر ديوان « تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانىء » القاهرة 1352 ص 812 .

المقطوعـة الحادية عشرة :

« وله من زهرية :

« نَمَّ بِالرَّوْضِ خَفَقُ الرِّيَاحْ وَاقْتَدَحَ الشَّرْقُ زِنَادَ الصَّبَاحْ

« وَأخجلَ الوَرْدُ شُعَاعَ الضُّحى وَابْتَسَمَتْ فيه ثُغُورُ الأقَاحْ

« وَقَامَ في الدَّوْحِ لِنَعْيِ الدجى حَمَائِمٌ تُطْرِبُنَا بِالصِّيَاحْ

« مُذْ وُلِدَ الصُّبحُ وَمَاتَ الدُّجى صَاحَتْ فَلَمْ ندْرِ غِنًى أمْ نُوَاحْ

05. « وَيوْمِ دجْنٍ حُجبتْ شمسُهُ وَأشْرَقَتْ في لَيْلِهِ شمسُ رَاحْ

« فَما ظَنَنَّا الصُّبْحَ إلاَّ دُجًى وَلاَ حَسَبنا اللَّيْلَ إلاَّ صَبَاحْ »

(سريع)

المصـدر :

ح. ح. عبد الوهاب مجمل ... ص 101 .

التعليـق :

لا ندري أين استقى ح. ح. عبد الوهاب هذه الأبيات ، فإنّه على عادته لم يذكر مراجعه .

المقطوعة الثانية عشرة :

« قال محمّد التونسيّ يهجو أبا القاسم الفزاريّ :

« دَعِيٌّ فَزَارَةَ مِنْ لُؤْمِهِ   إلَى طَلْعَةِ اللُّؤْمِ مَا أسْبَقَهْ »

« أبٌ هَارِبٌ بِخَرَاجِ الإمَامِ   وَجَدٌّ قَتِيلٌ عَلَى الزَّنْدَقَةْ »

(متقارب)

المصدر :

الزبيديّ : طبقات النحويّين واللغويّين القاهرة 1954 ص 272 .

القفطي : انباه الرواة ج 2 ترجمة عدد 531 .

التعليق :

1 — لا نستبعد أن يكون محمّد التونسيّ هو صاحبنا عليّ الايادي ، نظرا لانتمائه إلى الفاطميّين ، ولمناهضة الفزاري لهم كما سيأتي . ثمّ انّ المصادر لا تذكر شاعرا « تونسيا » غير صاحبنا علي الايادي وعلي بن يوسف ، وهو متأخّر عن الفزاريّ وعن الايادي .

***

هذا ما وصلنا إليه في جمعنا لأبيات علي بن محمد الايادي التونسي شاعر الفاطميّين ، وقد عاصر محمد بن هانىء وعاش بعده . وليس في وسعنا أن نقول انّ هذا هو كلّ شعره ، فقد تكشف الأيّام عن أبيات أخرى في مخبئات المخطوطات .

وبعد هذا ، ننبّه إلى خطإ من ابن ظافر الأزدي صاحب « بدائع البدائه » فقد نسب إلى الايادي قصيدة مشهورة النسبة إلى ابن هانىء ، وهي القصيدة السادسة والعشرون من ديوانه « تبيين المعاني ... » فقال ابن ظافر « وهذا « المعنى مأخوذ من قول علي بن التونسيّ الايادي من قصيدته الطائية المشهورة « ألؤلؤ قطر هذا الجوّ امْ نقط ...» (17) .

(17) ابن ظافر الأزدي : بدائع البدائه ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1970 ص 72 .

2 ـ أبو القاسم (محمد) الفزاريّ

ترجم له ح. ح. عبد الوهاب (1) فقال انه ولد بالقيروان ونشأ بها وان اسمه « محمد بن عبد الله » ، ولا ندري ما هو المصدر الذي استقى منه اسمَه واسم أبيه ، فان التراجم تقتصر على كنيته « أبي القاسم » ونسبته « الفزاريّ » . ولئن كان من المتوقّع أن تناسب كنية أبي القاسم اسم محمّد ، وأن يكون مَن اسمُه محمّد ابنا لمَن اسمُه عبد الله ، اقتداء بالرسول (صلعم) ، فانّ بعض المترجمين له كالزبيدي (ت 989/379) والقفطي (1248/646) يقولون انّه ابن لشاعر نحويّ قيروانيّ اسمه « عامر بن إبراهيم الفزاريّ » (2) وانّ أباه هذا كان عاملا للفاطميّين على خراج الساحل الافريقيّ فهرب بالمال إلى مصر الاخشيديّة . ويقول أبو العرب في طبقاته انّ جدّه (إبراهيم ؟) هو «الفزاري « المقتول على ما شهد عليه به من التعطيل (و) كان من أهل الجدل والمناظرة (3) » . ويورد القفطي في ذيل ترجمة الفزاريّ الأب ، البيتين الذين هجا بهما (علي بن) محمد (الايادي) التونسيّ ، أبا القاسم الفزاريّ ملمّحا إلى زندقة جدّه وخيانة أبيه (راجعهما في شعر الايادي) .

فشاعرنا ، على هذا الأساس ، هو أبو القاسم (محمّد) بن عامر بن إبراهيم ابن العبّاس الفزاريّ القيروانيّ ، وان كان بروكلمان يدعوه « أبا القاسم محمد ابن عليّ الفزاريّ القيروانيّ » (4) .

ويضيف ح. ح. عبد الوهاب في ترجمته أنّه مدح أبا يزيد الخارجيّ حين تغلّب على القيروان ، ثمّ مدح المنصور الفاطميّ حين ظفر بأبي يزيد ،

(1) ح. ح. عبد الوهاب : مجمل ... ص 83 .
(2) أبو بكر الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ، القاهرة 1954 ص 272 .
القفطي : انباه الرواة ... ح 2 ترجمة عدد 531 .
(3) طبقات أبي العرب نشر ابن أبي شنب ص 220 .
(4) بروكلمان ملحق ج 1 ص 148 .

بقصيدة طويلة اشتهرت باسم «القصيدة الفزاريّة» (انظر نصّها فيما يلي)، وقد استهلّها بذكر مائة علم من أعلام العرب وأسيادهم وأجوادهم. وقال انّه توفي سنة 956/345م.

ولا نعرف عنه إلى جانب هذه المعلومات القليلة، الاّ ما رواه المالكي في رياض النفوس وما نقله عنه ابن ناجي في معالم الايمان. ويظهر من هذين الكتابَين في طبقات فقهاء القيروان وزهّادها وعبّادها وصلحائها أنّ أبا القاسم الفزاري كان أميل إلى أهل السنّة منه إلى الشيعة، وانّه، لئن مدح المنصور العبيديّ، فمُكْرَهًا، ليكفّر عن مدحه لأبي يزيد حين دخل القيروان سنة 333.

وانّما حُمِلَ أبو القاسم على مدح الخارجيّ حملا، لأنّ الرأي العامّ السنّي بالقيروان كان يفضّل بين الشرّين، شرّ الاباضيّة الصفريّة، وشرّ الشيعة، أخفّهما وهو مذهب الخوارج. فلذلك أفتى بعض فقهاء القيروان، وهو «أبو الفضل عبّاس الممّسي» بوجوب الخروج مع أبي يزيد وقطع دولة بني عبيد» لأنّ الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم اسم الاسلام... «وبنو عبيد ليسوا كذلك لأنّهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين»، فلا تتوارثوا «معهم ولاتتناسبوا...» (5) ولم يقتصر أَبُو الفضل الممّسي على الافتاء، بل شارك بنفسه في حرب الفاطميّين مع أبي يزيد، ولقي حتفه بمعركة الوادي المالح سنة 333 صحبة خمسة وثمانين صالحا من صلحاء القيروان. ورثاه أبو القاسم الفزاري بالعينيّة التي سنوردها بعد قليل.

وحتّى هذا المدح لأبي يزيد لم يكن مدحا بقدر ما كان فخرا بالقيروان وعلمائها، حتّى لكأنّ الفزاري هذا فقيه من فقهائها، يتورّع من الهجاء ويتأثّم من التعرّض لأعراض الناس. وممّا يزيد هذا الجانب الديني الفقهي

(5) المالكي: رياض النفوس ج 2 مخطوط القاهرة عدد 116 ورقة 142 ب.

تأكيدا في شخصه ، التجاؤه إلى النساك والصالحين كلما داهمه خطر ، مثلما ينبئنا به صاحب رياض النفوس عن بركة الفقيه « أبي اسحاق السبائي » النافعة ، فقد أمن بدعائه و ابتهالاته هذا الشاعر من نقمة العبيديين :

« ... ومن إجابة دعوة أبي اسحاق (السبائي) أن أبا القاسم الفزاري
« الشاعر (رحمه الله) كان قد هجا بني عبيد (لعنهم الله) في أيام أبي زيد .
« فبعد قتله (قتل أبي زيد) طلبه السلطان (طلب الفزاري) لقتله ، فلجأ إلى
« السبائي ، وهو فرق خائف ، فقال له : أنت تعلم ما يراد بي . فقام أبو
« اسحاق فدخل خزانته وأقبل يدعو ويقول كلاما بعضه يُفهَمُ وبعضه لا
« يُفهَم ، ثم قال لأبي القاسم : امض اشترِ غداءك وادخل الحمام ثم
« امضِ إليه ، فلن ترى شيئا تخافُه . قال أبو القاسم : فخرجت من عنده
« ففعلت ما أمرني به من الغداء ودخول الحمام ووثقتْ نفسي بقوله
« ودعائه . ثم مضيتُ إلى السلطان (المنصور الفاطمي) فدخلت عليه فقال
« بعضُ مَنْ في مجلسه : يأمرك السلطانُ بأن تستنشدَ بعضَ ما قلتَ في أيام
« أبي يزيد . فترفّعتُ عن ذلك وخفتُ ، فقال : أنشدْها ولكَ الأمانُ ،
« (قال) فأنشدته القصيدةَ الرائيةَ ... (انظر نصّها فيما يأتي) قال المالكي :
« فلما فرغ من إنشادها ، لم يعرض له اسماعيل (المنصور) بسوءٍ ... فعافاه
« الله تعالى من شرّه بدعاء الشيخ السبائي (6) » وتوفي الشيخ السبائي سنة 356 وهو ابن 85 سنة (7) وقد وقعت حكاية مماثلة لشاعر آخر تعرّض لبني عبيد وهو سهلُ الورّاقُ الآتي الذكر .

---

(6) المالكي : المرجع المذكور ، ورقة 224 ب .

(7) الدباغ/ابن ناجي : معالم الايمان ج 3 ص 90 من طبعة تونس سنة 1320 .

شعر أبي القاسم الفزاري

— 1 —

القصيدة الرائيّة في هجو بني عبيد :

تَلَفَّعَ في مَفَارِقِهِ القَتِيرُ	وَقَوَّسَ غُصْنُهُ اللَّدْنُ النَّضِيرُ
وَلَيْسَ يُؤَدِّبُ الإنسانَ شَيْءٌ	كَتَأْدِيبِ الحَوَادِثِ إِذْ تَدُورُ
وَإِنَّ بِبَابِكَ اللَّهُمَّ عَبْدًا	مِنَ الخِذْلاَنِ أَصْبَحَ يَسْتَجِيرُ
دَعَاكَ وَقَدْ رَجَاكَ فَصُنْهُ مِمَّا	يُحَاذِرُ ذُو المُرَاقَبَةِ الحَذُورُ
5 وَلاَ تُسْلِمْهُ لِلدُّنْيَا فَتَهْوِي	بِهِ مِنْهَا بُطُونٌ أَوْ ظُهُورُ
سَلاَمَتُهَا، وَإِنْ دَامَتْ، سِقَامٌ	وَنِعْمَتُهَا ، وَإِنْ دَامَتْ ، غُرُورُ
وَمَرْعَاهَا لِرَاغِبِهَا وَخِيمٌ	وَكَثْرَتُهَا لِمُكْثِرِهَا يَسِيرُ
تَسُرُّ المَرْءَ يَوْمًا ثُمَّ تَغْدُو	فَتَسْلُبُ مَا أَتَاحَ لَهُ السُّرُورُ
وَإِنْ وَاتَتْكَ إِقْبَالاً وَنُعْمَى	فَعُقْبَاهَا الفَجَائِعُ وَالقُبُورُ
10 وَكُلُّ الخَيْرِ فِيهَا مُسْتَعَارٌ	وَسَوْفَ يَرُدُّ ذَاكَ المُسْتَعِيرُ
وَإِنَّ عَزِيزَهَا عَمَّا قَلِيلٍ	ذَلِيلٌ ، وَالغَنِيَّ بِهَا فَقِيرُ
وَكُلٌّ مُؤَمِّلٌ أَمَلٌ طَوِيلٌ	وَعُمْرٌ لَوْ تُؤَمِّلُهُ قَصِيرُ
وَبَعْدَ المَوْتِ أَهْوَالٌ عِظَامٌ	يَشِيبُ لِبَعْضِهَا الطِّفْلُ الصَّغِيرُ
وَتَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ لِكَرْبٍ	لِيَوْمٍ فِيهِ شَرٌّ مُسْتَطِيرُ
15 وَبَعْدَ المَوْتِ لِلأَرْوَاحِ إِمَّا	نَعِيمٌ فِي الكَرَامَةِ أَوْ سَعِيرُ
عَجِبْتُ لِفِتْنَةٍ أَعْمَتْ وَعَمَّتْ	يَقُومُ بِهَا دَعِيٌّ أَوْ كَفُورُ
تَزَلْزَلَتِ المَدَائِنُ وَالبَوَادِي	لَهَا وَتَلَوَّنَتْ مِنْهَا الدُّهُورُ
وَضَاقَتْ كُلُّ أَرْضٍ ذَاتُ عَرْضٍ	وَلَمْ تُغْنِ المَعَاقِلُ وَالقُصُورُ
فَنَجَّى القَيْرَوَانَ وَسَاكِنِيهَا	إِلاَهٌ دَافِعٌ عَنْهَا قَدِيرُ
20 أَحَاطَ بِأَهْلِهَا عِلْمًا وَخُبْرًا	وَمَيَّزَ مَا أَكَنَّتْهُ الصُّدُورُ
وَجَلَّلَهُمْ بِعَافِيَةٍ وَأَمْنٍ	وَأَسْبَلَ فَوْقَهَا سِتْرٌ سَتِيرُ

وأنبتت جلة العلماء فيها … بحار لا تعادلها بحور
ومنها سادة العلماء قدما … إذا عدوا ، وليس لهم نظير
وفيها القوم عباد خيار … فقد طاب الأوائل والأخير
25 شعارهم التقى والخوف ليلا … على أقدامهم غيب حضور
كأنهم لخوف الله موتى … أقامهم إلى البعث النشور
بلاد حشوها علم وحلم … وإسلام ومعروف وخير
هم افتكوا سبايا كل أرض … وفادوا ما استبد به المغير
كفيناهم عظائمها جميعا … فزالت عنهم تلك الشرور
30 وسكنا قلوبا خافقات … أمات عروقها ضر ضرير
وآوينا وآسينا وكنا … لهم أهلا وأكثرهم شطير
فبات طعامنا لهم طعاما … هناك ، ودورنا للقوم دور
وكان لنا ثواب الله ذخرا … وقام لشكرنا منهم شكور
ولولا القيروان وساكنوها … لغاب طعامهم والمح رير
35 كأن القيروان وهم عراة … حفاة ، محشر فيه المصير
فهل للقيروان وساكنيها … عديل حين يفتخر الفخور ؟
عراق الشرق بغداد وهذي … عراق الغرب بينهما كثير
ولست أقيس بغدادا إليها … وكيف تقاس بالسنة الشهور ؟
بلاد تقصف العظماء قصفا … إذا ما رامها منهم غدور
40 بلاد خطها أصحاب بدر … وتلك اختط ساحتها أمير
بناها المستجاب وقد دعا … في جوانبها دعاء لا يبور
بناها كل بدري كريم … كأن صفا وجوههم بدور
هم صلوا بمسجدها براحا … وليس له جدار مستدير
وهم وضعوا له أسا متينا … فقدست المواضع والصخور
45 وقادهم الأذان إليه حتى … أضاء هم من المحراب نور
ولم يسبقهم ملك ظلوم … لتأسيس ولا ملك كفور

وَأَصْحاب النَّبِي لَـه بنَـاةٌ فَـلا عِصْيَانَ فيه ولاَ فجُـورُ
أقَامُوا شطرَ قِبلَتِـهَا سَوِيّاً إلى البَيْتِ العتيق فلَمْ يَجُورُوا
وَإنَّ عِرَاصَه لَـمُقدَّسَـاتٌ مُبَارَكَةٌ وَتُرْبَتُـهُ طَـهُـورُ
50 بها حِلَق العُلوم لها دَوِيٌّ يُجَاوِبُهَا الكِتَاب المُسْتَنِير
ألا أبلغْ معاشِرَ لَيْسَ عِنْدِي لَهُمْ غَدْرٌ وَلاَ فِيهِمْ غَدِير
نحِبُّ صلاَحهم وَهم غِضَاب علينَا ، إنَّ ذَا جَوْرٌ كَبِير
ضَمَائِرهمْ مِرَاضٌ وَاجِـمَاتٌ علَينَا لاَ أفاقَ لَهمْ ضَمِير
ولاَ ذَنْبٌ لَنَا إلاَّ لأَنَّـــا سَلِمْنَا حين عَمَّهُمُ الثُبُورُ

(قال المالكي) : ثمَّ مضى فيها حتّى انتهى إلى قوله منها :

55 وَلَيسَ لنَا كَمَا لَهُمُ حُصُونٌ وَلاَ جَبَلٌ أعَالِـيه وَعُـورُ
وَلاَ سُورٌ أحاطَ بِنَا وَلَكِن لَنَا مِنْ حِفْظِ رَبِّ العَرْشِ سُور
وَلاَ نَأوِي إلَى بَحْرٍ وَإنَّـا إذَا قَضَى القَضَا تُنْحى النحُور
وَلَكِنَّا إلَى القرْآن نَأوي وَفي أيْمانِنَا البِيضُ الذُّكُور
عَقَائِقُ كالبَوَارِقِ مُرْهَفَاتٌ بِهَا تُحْمَى الحَرَائِم وَالثُغُورُ
60 وَسُمْرٌ في أعالِيهِنَّ شُهْبٌ بِهَا ظَمَأٌ، مَوَارِدهَا النُّحور
لنا شِيبٌ جَحَاجِحَةٌ لُيوثٌ وَشبَّانٌ غَرَانِقَةٌ صُقُورُ
وَكلُّهمُ شديد البَأسِ جَلْدٌ جَرِيءٌ قلبه ثَبْتٌ وَقُور
وَإنَّا بعْدَ مِنْ خوْف وَأمْنِ نحِبُّ إذا تَشعَّبَتِ الأمُور (8)
رَسولَ اللّه وَالصِّدِّيقَ حُبّاً بِه تُرجَى السَّعَادَة وَالحبُورُ
65 وَبَعْدَهُما نحبُّ القَوْمَ طرّاً وَمَا اختَلَفُوا فَرَبُّهُم غَفُور
ألاَ بِأبِي وَخَالَتِي وَأمِّي مُحَمَّدٌ البَشِيرُ لَنَا النَّذِير
سأُهْدِي ما حيِيتُ لَهُ ثَنَاءً مَعَ الرُّكبَانِ يُنْجِدُ أوْ يَغُور

(وافر)

(8) لم نهتد إلى قراءة صالحة لصدر البيت 63 .

المصـــدر :

رياض النفوس للمالكي : مخطوط باريس رقم 2153 ، ورقة 103 أ . مخطوط القاهرة رقم 116 ورقة 225أ .

معالم الايمان للدبّاغ وابن ناجي ج 3 ص 86 (روى قصّة الفزاري مع السبائي ولم يرو القصيدة كلّها) .

التعليـــق :

هذا القصيد المطوّل ليس فيه هجاء لبني عبيد ولا مدح للخارجيّ ، وانّما القسم الأوفر منه ، وهو الأهمّ ، مدح قويّ للقيروان وأهلها . فلذلك لم يرو الدبّاغ من الرائيّة الاّ هذا القسم الذي احتلّ ثلثي القصيدة . فبعد المقدّمات الحكميّة (أبيات 1—15) يأتي الفخر بالقيروان وساكنيها (16—50) . وفي القسم الأخير تعرّض خفيف للعبيديّين ، يقتصر على بيان الفرق المذهبيّ بينهم وبين أهل القيروان في ناحية معيّنة ، وكأنّها رمز وهي موقف هؤلاء وأولائك من الصحابة فكأنهم يقول تلعنونهم ونحن نجلّهم (63—67) .

فليس إذن في القصيدة ما يستوجب النقمة من الخليفة الفاطميّ على الشاعر ، ولذلك أمّنه وجازاه . وليس للقصيدة من قيمة الاّ تاريخيّة مذهبيّة اذ نقف من خلالها على مدى الحذر والاحتراز الذي لازمه أهل القيروان ازاء أبـي يزيد ، وكأنّهم ساندوه مرغمين ، لوجود جيوشه بين ظهرانيهم أوّلا ، وللضغائن الكثيرة القويّة التي خلّفها فيهم تعسُّفُ العبيديّين نحو فقهائـهم ثانيا . وانّا نجد في رياض النفوس والمعالم أمثلة لا تحصى ، وربّما بالغ في وصفها الرواةُ المناهضون للفاطميّين ، من التعسّف الذي لقيه كلُّ مَن لم يؤدّن بالحيعلة كعَرّوس المؤدّن ، أو لم يأخذ بالحساب في تقدير هلال رمضان والعيد كقاضي برقة ابن الجبلي . وكان التعسّف بدأ على يد أوّل قاضٍ شيعي وهو محمّد المروزي (أو المروذي أو المرورّوذي) .

على انّ أبا القاسم الفزاري لم يلازم دائما هذا الحياد ازاء الفاطميّين ، فلقد روى المالكي له أبياتا أخرى فيها تهجّم عنيف على معتقدات الشيعة واتّهام لهم بالمروق عن الدين ، وهي القصيدة القادمة .

— 2 —

« ولأبي القاسم الفزاري أشعار كثيرة في هجو بني عبيد منها :

عَبدوا ملوكَهم وَظنّوا أنهم نَالوا بهم سَبَبَ النّجاة عُموما

وَتمكّن الشيطانُ من خطواتهم فَأرَاهُمُ عوجَ الضّلاَل قَويما

رَغبوا عن الصّدّيق وَالفاروق في أحكامهم لاَ سلّموا تَسْليمَا

وَاستَبْدَلُوا بِهِمَا ابْنَ أسْوَدَ نَابِحًا

وَأبَا عمارَةَ وَاللّعينَ تَميمَا

05. تَبِعوا كِلاَبَ جَهَنّم وَتأخّروا

عَمّنْ أصَارَهُمُ الإلاَهُ نُجُومَا

يَا لَيْتَ شِعْرِي مِنْ هُمُ إنْ حَصّلوا

دُنْيَا ، وَمَنْ هُمُ إنْ عدَدْتَ صَمِيمَا ؟

أمِنَ اليَهُودِ ؟ أمِ النّصَارَى ؟ أمْ هُمُ

دَهْرِيّةٌ جَعَلُوا الحَدِيثَ قَدِيمَا ؟

أم هُمْ مِنَ الصّابِينَ أمْ مِنْ عُصْبَةٍ

عَبَدُوا النّجُومَ وَأكْثَرُوا التّنْجِيمَا ؟

أمْ هُمْ زَنَادِقَةٌ مُعَطّلَةٌ رَأوْا

أنْ لاَ عَذَابَ غَداً ولاَ تَنْعِيمَا ؟

10. أمْ عُصْبَةٌ ثَنَوِيّةٌ قَدْ عَطّلُوا

النّورَيْنِ عَنْ ظُلُمَاتِهِمْ تَعْظِيمَا؟

مِنْ كُلِّ مَذْهَبِ فِرْقَةٍ مَعْلُومَةٍ
أخَذُوا بِفَرْعٍ وَادَّعَوْهُ أُرُومَا
سُبْحَانَ مَنْ أبْلَى العِبَادَ بِكُفْرِهُمْ
وَبِشِرْكِهِمْ حِقَبًا وَكَانَ رَحِيمَا
يَا رَبِّ فَالعَنْهُمْ وَلَقِّ لَعِينَهُمْ
بأبِي يَزِيدَ مِنَ العَذَابِ ألِيمَا

(كامل)

المصدر :

رياض النفوس ورقة 226 .

التعليق :

الأبيات غير واضحة المعنى أحيانا ، فقرأناها قراءة ظنّيّة ، مثلما في البيت العاشر ، في عبارة « عطّلوا النورين » ، فكأنّه يعني عثمان بن عفّان ، ذا النورين ، وقد كان محلّ نقمة كبيرة عند كافّة الشيعة ، لا عند الفاطميّين الاسماعليّة فقط .

ونلاحظ انّ الفزاري لم يطعن الاّ في دينهم ، ولم يتعرّض إلى صحّة انتسابهم إلى الرسول (صلعهم) وهذا يؤكّد ما قلناه من انّ الفزاري فقيه أكثر منه شاعرا ، وانّ في غثاثة كثير من أبياته لشاهدا على أنّه شاعر فقيه ؛ ومعروف أنّ شعر العلماء ليس له طلاوة عادة .

— 3 —

القصيدة الفزاريّة

من شعر الفزاريّ المتّصل بالفاطميّين مدحته في المنصور العبيديّ بعد أن أمّنه مع كافّة أهل القيروان . وهي قصيدة ذات ثلاثة وستّين بيتا خصّص

ثلاثة وثلاثين منها لاستعراض أجواد العرب وشجعانهم ومشاهير رجالاتهم في الجاهليّة . وكأنّ القصيدة اشتهرت بهذه الاشارات التاريخيّة أكثر منها بمعانيها المدحيّة ، فسمّيت لشهرتها « القصيدة الفزاريّة » . وهي لا تزال مخطوطة ، ومعها تعريف بالأعلام المذكورين في القصيدة، وتلخيص لبعض بطولاتهم المعروفة في أدب « أيام العرب » ، وهذا الشرح الذي يتخلّل الأبيات مجهول المؤلف .

والقصيدة بشرحها توجد مخطوطة بالمتحف البريطاني (9) وبمكتبة برلين (10) . ولقد تفضّل صديقنا الأستاذ أبو القاسم محمد كرّو فأطلعنا على نسخته المصورة ، كما أطلعنا على نسخة مصوّرة (ميكروفيلم) من الجزء الثاني من «رياض النفوس» فقابلناها بنسخة مماثلة من مخطوط الكتاب بالقاهرة ، وهي الأخرى على ملكه ، فاستخرجنا من هذه المصوّرات الثلاث شعرَ الفزاريّ ، هذا الذي نقدّمه اليوم إلى القرّاء والباحثين . فإلى الأستاذ كرّو شكرنا وامتناننا على مساعداته النفيسة . هذا وقد نقل ح. ح. عبد الوهاب بضعة أبيات من القصيدة الفزاريّة في مجمله (11) .

القصيدة الفزاريّة عن مخطوط المتحف البريطانيّ

لَعَمْرُكَ مَا أوْسُ بْنُ سُعْدى بِقَوْمِه
ولا سَيِّدُ الأَوْبَار قَيْسُ بنُ عاصمٍ (12)

(9) عدد 3752 شرقي .

(10) عدد 8077 من فهرست أهلوارت .

(11) مجمل تاريخ الأدب التونسي ص 84 .

(12) أوس بن سعدي هو أوس بن حارثة الطائي ، كان هجاه بشر بن أبي خازم الأسدي فكان ذلك سبب يوم « ظهر الدهناء » ، ولما ظفر به أشارت عليه أمه سعدى بنت الحصين الطائية فعفا عنه وأكرمه (انظر بلوغ الأرب للألوسي ج 1 ص 82 وأيام العرب في الجاهلية لجاد المولى وجماعته ص 137) .

وقيس بن عاصم المنقري هو أحد رؤساء تميم ، وكان له معها شأن في يوم الكلاب الثاني (أيام العرب 124 و175) .

ولا كَانَ ذو الجَـدَّيْـن بَيْـن كَتَـائِـبِ
لَهَـا مِيـم مِـنْ بَكْرٍ وحَـيّ اللهَـازِمِ(13)

وربٌّ مَعَـدٍّ والأحَالِيـفُ حَـوْلَـه
عُبابٌ كَمَوْج اللُّجَة المُتَلاطِـمِ (13م)

ولا حَاجِـبٌ ذُو القَوْسِ يَخْطِر حولَهُ
قُرُومٌ كَأُسْد الغِيل منْ آل دارم (14)

05 وذو الجَبَلَيْن فِـي عَصَائِب طَيِّـىء
فتى الفضْل والنُّعْمَى عديّ بن حاتِـمِ(15)

ولا كَانَ زيْد الخيْل والخيْر والقَنَـا
وزيْد المَنَايَـا والسُّيُـوف الصَّوارِمِ(16)

وعَمْرو أبُو ثَـوْرٍ ، وعمْرو بن عَامِرٍ ،
وعمرو بن عَمْرٍو في الأسود الضَّراغم(17)

---

(13) ذو الجدين ويسمى أيضا ابن ذي الجدين هو بسطام بن قيس الشيباني أحد رؤساء بكر بن وائل وسيذكر من جديد في البيت 9 ، واللهازم مجموعة قبائل من بكر ، واللهاميم الأجواد من الناس والجياد من الخيل .

(13) مكرر : رب معد هو جد قصي عبد شمس وهاشم .

(14) حاجب بن زرارة بن عدس الدارمي أحد رؤساء تميم ، وسمي ذا القوس لأنه رهن قوسه عند كسرى وتكفل له باستقامة العرب إذا ما سمح لهم كسرى بالتماس قوتهم في أرضه (انظر النقائض نشر بيفان ص 462) .

(15) عدي بن حاتم الطائي أدرك الاسلام ، والجبلان أجأ وسلمى من بلاد طيىء هذا وإن صدر البيت مختل الوزن .

(16) زيد الخيل هو زيد بن مهلهل الطائيء شارك مع ابنيه في يوم اليحاميم ، وفد على الرسول (صلعم) في طيء فسماه زيد الخير (انظر سيرة ابن هشام تحقيق السقا وجماعته ج 2 ص 577).

(17) عمرو بن معدى كرب الزبيدي ، أبو ثور : من أبطال الجاهلية والاسلام ، شهد اليرموك والقادسية (انظر دائرة المعارف الاسلامية الطبعة الثانية ج 1 ص 466) .
وعمرو بن عامر بن امرىء القيس أبو أسيدة ، ومنها انحدر بعض أحياء تغلب .
وعمرو بن عمرو بن عدس الدارمي أحد وجوه تميم وتزوج دختنوس بنت لقيط بن زرارة ، وله شأن في يوم شعب جبلة (انظر النقائض 654) .

ولا قَاتِلُ الجَوْنَيْـن أوْ فَارِسُ العَصا
وفارس قيسٍ يومَ ديْر الجَمَاجِـم (18)

ولا كان بِسْطامُ بْن قيسُ بْنِ خالِدِ
وعمرو بن كُلْثوم شهابُ الأقادم (19)

10 ولا الأحْوصان الأصْيدان ولا الذي
حمى النَّعْف ما بين العريض وواقِـم (20)

ولا العامِران : ابْنُ الطُّفيْل ، وعامِرٌ
مَلاَعِبَ أطْرافِ الرِّماحِ اللهَاذِمِ (21)

وَلاَ هَرِمُ القَاضِي ، وَلاَ هَرِمُ النَّدَى
إذَا اجْتَبَيَا بَيْنَ البُحُورِ الخُضَامِ (22)

وَلاَ الزِّبْرِقَانُ وَالأغَرَّ بْنُ حَابِسٍ
وَصَعْصَعَةُ الفَكَّاكُ أهْلَ المَكَارِمِ (23)

---

(18) الجونان هما عمرو أو حسان ومعاوية ابنا شراحيل ... بن حجر آكل المرار ، شاركا في شعب جبلة ، وقتلا فيه قتل أحدهما قيس بن زهير العبسي وقتل الثاني عوف بن الأحوص العامري (النقائض 407 و668) وفارس العصا هو الأخنس بن شهاب الثعلبي (انظر المفضلية عدد 41) . ويوم دير الجماجم وقعة بين عبد الرحمان بن الأشعث الكندي والحجاج بن يوسف أمير العراق للأمويين .

(19) بسطام بن قيس الشيباني (انظر التنبيه 13 وكذلك الفصل « بسطام بن قيس » بدائرة المعارف الإسلامية) . وعمرو بن كلثوم سيد تغلب وشاعرها المعروف صاحب المعلقة النونية .

(20) الأحوصان هما الأحوص بن جعفر العامري وابنه عوف وهما من أبطال يوم شعب جبلة .

(21) عامر بن الطفيل هو سيد عامر بن صعصعة وملاعب الأسنة هو عامر بن مالك بن جعفر الكلابي .

(22) هرم القاضي هو هرم بن قطبة بن سيار الفزاري (أنظر الأعلام ج 9 ص 77) هرم الندى هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري الحكم بين عبس وذبيان في حرب داحس ، وممدوح زهير .

(23) الزبرقان بن بدر السعدي ، من وجوه تميم أدرك الاسلام وله صحبة (انظر أعلام الزركلي ج 3 ص 72) الأقرع بن حابس المجاشعي هو أيضا من رؤساء تميم وكان في عهد الرسول (صلعم) من المؤلفة قلوبهم . صعصعة هو « الذي أحيى الوئيد » أي كان ينقذ المؤوودات من الموت إلى أن جاء الاسلام فحرم وأد البنات وهو جد الفرزدق (أنظر النقائض 697) . وفي حشو صدر البيت زحاف مكروه عند العروضيين : مفاعيلن/مفاعلن (اقظر التنبيه 15) .

وَلاَ مُحْكَمٌ نجرَ اليَمَامَــةِ كُلِّهَا
وَلا هَوْذَةُ المَعْصُوبُ تاجَ الأعَاجِمِ (24)

15 ولا ٱبْنُ أبِي شَمْرٍ ووالِي جذِيمَةٍ
ولا شاطرونٌ المُبْتَني لِلعظائِمِ (25)

ولا ابْنُ الجلنْدى فِي عُمَانٍ ولا الذي
أجار جرادَ القَفْرِ منْ كلّ طاعِمِ (26)

ولا قائِدُ الغازِينَ تحتْ لِوائِـه
بِيوْمِ خزازى كالنُّسُورِ القشاعِمِ (27)

ولا علَمُ الأجْوادِ كعْبُ بْنُ مامةٍ
عقِيدُ الثّناءِ المحْضِ دون اللوائمِ (28)

ولا عوْفٌ المُوفِي بِذمّةِ جارِهِ
ولا جرٌ في وادِيهِ غيْرُ المُسالِمِ (29)

20 ولا الأشْعثُ الكِنْدِيُّ بيْن فوارِسٍ
صفوفٍ على أهْلِ النَّجيرِ صلادِمِ (30)

---

(24) هوذة : هوذة بن علي بن ثمامة الحنفي زعيم حنيفة (من بكر بن وائل) وخطيبها وكان يكنى « ذا التاج » (انظر الأعلام للزركلي ج 9 ص 111) . هذا ولم تفهم المقصود بصدر البيت .

(25) ابن أبـي شمر هو الحارث الغساني الأعرج . وله حروب مع المناذرة وهو ممدوح علقمة الفحل. جذيمة الأبرش آخر ملوك قضاعة بالحيرة قتلته الزباء (انظر نهاية الأرب للنويري ج15 ص 316) الشاطرون هو أحد أمراء فارس .

(26) ابن الجلندى هو الجلندى بن مسعود ... بن الجلندى الأزدي أحد رؤوس الخوارج بعمان زمن الأمويين ، قتله خازم بن خزيمة في جيوش السفاح العباسي (الأعلام ج 2 ص 130) . ومجير الجراد هو أبو حنبل بن حارثة الطائي .

(27) يوم خزاز أو خزازى وقعة بين مذحج اليمنيين وعرب الشمال يقودهم كليب وائل (انظر أيام العرب ص 109) .

(28) كعب بن مامة أحد أجواد العرب المعروفين كهرم بن سنان وحاتم .

(29) عوف هو عوف بن محلم بن ذهل الشيباني كان يضرب به المثل في الوفاء بالذمة وله في ذلك قصة مع عمرو بن هند .

(30) الأشعث الكندي هو أمير كندة في الجاهلية والاسلام له مآثر في الفتوحات (الأعلام ج 1 ص 333) .

ولا قائِدُ الشَّهْباءِ مِنْ آلِ مُنْذِرٍ

ولا قائِدُ الحَدْباءِ مِنْ آلِ دارِمٍ (31)

ولا كانَتِ الأحْياءُ فِي مُطْمَئِنِّها

ولا جَمَراتُ الحَرْبِ فِي كُلِّ جاحِمٍ

ولا الأشْرم العاتِي وكِسْرى وقَيْصَرٌ

ولا رَبُّ غَمْدانٍ حَمِيدُ العَزائِمِ (32)

ولا الخَمْسَةُ الحامُونَ إذْ خَنَقَ الرَّدَى

وَطارَتْ قُلُوبُ الجَيْشِ بَيْنَ الحَيازِمِ

25. ولا عَنْتَرٌ فِي بَأسِهِ واحْتِزامِهِ

ولا هاشِمُ المُرِّيُّ يومَ النَقائِمِ (33)

ولا الجَشْمِيّ المُسْتَضاءُ بِرَأيِهِ

وأسْرَتُهُ الأخْيارُ أهْلُ الحَرائِمِ (34)

وَشأسٌ وَوَرْقاءُ الظَّما وأبُوهُما

وقَيْسٌ أخو الهَكْراءِ يومَ المَلاحِمِ (35)

ولا الكُمَّلُ الصِّيدُ الصَنادِيدُ إذْ دُعُوا

إلى الجودِ أوْ للمارِقِ المُتَلاحِمِ (36)

---

(31) في هذا البيت اشارة إلى يوم ذي قار وفيه حرب عظيمة بين الفرس وبكر بن وائل ، وكان بين جيوش كسرى كتيبتان يقال لهما « الشهباء » وعليها المناذرة و« دوسر » وعليها عملاؤه من العرب (انظر أيام العرب ص 26) .

(32) الأشرم هو أبرهة القائد الحبشي الذي غزا مكة في وقعة الفيل (انظر سيرة ابن هشام ج 1 ص 41) . ورب غمدان سيف بن ذي يزن .

(33) هاشم المري هو هاشم بن حرملة رئيس بني مرة من ذبيان وهو قاتل معاوية السلمي أخي الخنساء في خبر يوم حوزة (يام العرب ص 283 وسيرة ابن هشام ج 1 ص 101) .

(34) جشم رهط من هوازن ، والجشمي هو دريد بن الصمة أحد أبطال الجاهلية .

(35) شأس وورقاء هما ابنا زهير بن جذيمة العبسي المقتول في يوم النفراوات وقيس بن زهير أخوهما صار أمير عبس بعد أبيه وقائدهم في يوم شعب جبلة .

(36) الكمل هم الكلمة وهم إخوة من بني عبس .

وَلاَ الفَاتِكُ البَرَّاضُ فِي فَتَكَاتِهِ
وَلاَ دَغْفَلٌ بَحْرُ الرُّوَاةِ الخَضَارِمِ (37)

30 وَلاَ ثَابِتٌ وَالشَّنْفَرَى حِينَ أَدْلَجَا
بِدَاوِيَةٍ أَوْ هَجَّرَا فِي السَّمَائِمِ (38)

وَلَيْسَ طَرِيفٌ يَوْمَ أَلْقَى قِنَاعَهُ
وَلاَ الهُذَلِيُّ القَرْمُ يَوْمَ الغَمَائِمِ (39)

وَلاَ سَيِّدَا أَهْلِ الشَّرِيدِ اللَّذَا هُمَا
صَمِيمُ العَوَادِي وَارْتِوَاءُ الحَمَائِمِ (40)

وَلاَ كَانَ قَعْقَاعُ بْنُ ثَوْرٍ إِذَا اجْتَبَى
جَلِيساً لَهُ مُذْ سِيقَ بَيْنَ الأَقَادِمِ (41)

بِأَمْنَعَ مِنِّي فِي جِوَارِ خَلِيفَةٍ
عَطُوفٍ عَلَى أَهْلِ البُيُوتَاتِ رَاحِمِ

35 كَرِيمِ الأَيَادِي وَالمَسَاعِي نَمَتْ لَهُ
أُبُوَّةُ صِدْقٍ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمِ

شَرِيفِ الأَقَاصِي وَالأَدَانِي مُقَدَّمٍ
إِذَا مَا عَدَدْنَا فَضْلَ أَهْلِ المَكَارِمِ

(37) البراض بن قيس الكناني كان « عيارا فاتكا خليعا في قومه » وبسببه قامت حرب الفجار الثانية (انظر يوم نخلة ص 326 من أيام العرب وانظر أيضا المثل « أفتك من البراض » في الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة لحمزة الاصبهاني بتحقيق عبد المجيد قطامش القاهرة 1971 ص 335 ج 1) . دغفل النسابة بن حنظلة الشيباني ، يضرب به المثل في معرفة الأنساب (ت 685/65) .

(38) ثابت بن جابر وعمرو بن مالك : تأبط شرا والشنفرى صعلوكا العرب .

(39) طريف بن تميم العنبري سيد قومه وكان لا يتقنع مثل بقية الفرسان ، قتله حصيصة بن شراحيل الشيباني ثائرا لأبيه في يوم مبايض (أيام العرب ص 208) .

(40) سيدا أهل الشريد هما صخر ومعاوية أخوا الخنساء السلمية .

(41) القعقاع بن عمرو التميمي أحد فرسان تميم في الجاهلية والاسلام ، شارك في الفتوحات وله صحبة (الأعلام ج 6 ص 48) .

وَلاَ الفَاتِكُ البَرَّاضُ فِـي فَتَكَاتِـهِ
وَلاَ دَغْفَلٌ بَحْرُ الرُّوَاةِ الخَضَارِمِ (37)

30 وَلاَ ثَابِتٌ وَالشَّنْفَرى حِينَ أَدْلَجَا
بِداويَةٍ أَوْ هَجَّرَا فِـي السَّمَائِـمِ (38)

وَلَيْسَ طَرِيفٌ يَوْمَ أَلْقَى قِنَاعَـهُ
وَلاَ الهُذَلِـيُّ القَرْمُ يَوْمَ الغَمَائِـمِ (39)

وَلاَ سَيِّدَا أَهْلِ الشَّرِيدِ اللذَا هُمَـا
صَمِيمُ العَوَادِي وَارْتِوَاءُ الحَمَائِمِ (40)

وَلاَ كَانَ قَعْقَاعُ بْنُ ثَوْرٍ إِذَا اجْتَبَى
جَلِيساً لَهُ مُذْ سِيقَ بَينَ الأَقْدَامِ (41)

بِأَمْنَعَ مِنِّـي فِـي جِوَارِ خَلِيفَـةٍ
عَطُوفٍ عَلَى أَهْلِ البُيُوتَاتِ رَاحِـمِ

35 كَرِيمِ الأَيَادِي وَالمَسَاعِي نَمَتْ لَهُ
أُبُوَّةُ صِدْقٍ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِـمِ

شَرِيفِ الأَقَاصِي وَالأَدَانِي مُقَدَّمٍ
إِذَا مَا عَدَدْنَا فَضْلَ أَهْلِ المَكَارِمِ

---

(37) البراض بن قيس الكناني كان « عيارا فاتكا خليعا في قومه » وبسببه قامت حرب الفجار الثانية (انظر يوم نخلة ص 326 من أيام العرب وانظر أيضا المثل « أفتك من البراض » في الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة لحمزة الاصبهاني بتحقيق عبد المجيد قطامش القاهرة 1971 ص 335 ج 1) . دغفل النسابة بن حنظلة الشيباني ، يضرب به المثل في معرفة الأنساب (ت 685/65) .

(38) ثابت بن جابر وعمرو بن مالك : تأبط شرا والشنفرى صعلوكا العرب .

(39) طريف بن تميم العنبري سيد قومه وكان لا يتقنع مثل بقية الفرسان ، قتله حصيصة بن شراحيل الشيباني ثائرا لأبيه في يوم مبايض (أيام العرب ص 208) .

(40) سيدا أهل الشريد هما صخرومعاوية أخوا الخنساء السلمية .

(41) القعقاع بن عمرو التميمي أحد فرسان تميم في الجاهلية والاسلام ، شارك في الفتوحات وله صحبة (الأعلام ج 6 ص 48) .

لَهُ مِنْ إمَامِ المُرْسَلِينَ وَصِنْوِهِم
عَلِيٍّ ، مَعَالٍ ثَابِتَاتُ الدَّعَائِم

مَعَالٍ هِيَ الفَخْرُ الصَّحِيحُ ، وَغَيْرُهَا
مَعَالِي فَخَارٍ بَيْنَ وَاهٍ وَسَالِمِ

وَمَن ذا يَقِيسُ الشمْسَ فِي رَوْنَقِ الضُّحى
إلَى كَوْكَبٍ فِي غَيْهَبِ الليْلِ عائِم ؟

40 سَأَشْكُرُ آلاءَ الإمَامِ وَمَنْ يَنَمْ
عن الشكر اوْ يَسْأَمْ فَلَسْتُ بسَائِمِ

وَمَا عُذْرُ مشحُوذِ اللِّسَانِ مُثَقَّفٍ
يَرَى الشكرَ فِي الإنْعَامِ ضَرْبَةَ لازِمِ ؟

أبَيْتَ أميرَ المُؤْمِنِينَ سِوَى الَّتِي
يَزِيدُ سَنَاءً ذِكْرُهَا فِي المَوَاسِمِ

تُقًى وَنَدًى مَا بَيْنَ حِلْمٍ وَنَجْدَةٍ
وَعَفْوًا وَإمْضَاءً عَلَى كُلِّ ظَالِمِ

وَكَذَّبْتَ أطْمَاعَ البُغَاةِ فَأدْبَرُوا
لأعْقَابِهِمْ مَا بَيْنَ خَازٍ وَنَادِمِ

45 رَجَوْا مِنْ فَسَادِ المُلْكِ مَا عَوَّدَتْهُمُ
أمَانِيهِم ، وَاللَّهُ لَيْسَ بِنَائِمِ

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ مُحْصَدَاتٍ كَأنَّهَا
شآبِيبُ قَطْرٍ وَاكِفِ العَيْنِ سَاجِمِ

وَلَوْلا حِذَارٌ مِنْ عِقَابِكَ أرْجَفُوا
فَعَافُوا وَعَافَ النَّاسَ ضَرَّ الأشَائِمِ

وَإِنِّي لأَدْرِي أَنَّ أَبْغَضَ مَنْ نَمَى
إِلَيْكَ ، وَلَوْ وَلاَّكَ نُصْحَ مُدَاوِمِ
ظَلُومٌ وَكَذَّابُ المَقَالِ وَحَاسِدٌ
وَبَاغٍ ، وَكُلُّ مُسْتَحِلٍّ المَحَارِمِ
50 وَلِلكَذِبِ المَشْنُوءِ فِي القَلْبِ سَوْرَةٌ
أَضَرُّ مِنَ الدَّاءِ العَيَاءِ المُلاَزِمِ
أَمِنْتُ لَكَ النُّكْدَ اللِئَامَ وَبَغْيَهُمْ
وَتَسْوِيَةً مِنْ جَاهِلٍ غَيْرِ عَالِمِ
بِقَافِيَةٍ لَوْ حُصِّلَتْ لَتَطَايَرَتْ
شُعَاعًا وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَى كَفِّ نَاظِمِ
أَيَحْسَبُهَا المَغْرُورُ تُنْشَدُ بَعْدَهُ
وَتُنْقَلُ مِنْ قِرْطَاسِهَا المُتَقَادِمِ ؟
وَمَا هِيَ إِلاَّ كَالقَسِيِّ مَتَى انْحَنَتْ
أَعَالِيهِ يُطْرَحْ من جياد الدَّرَاهم (42)
55 وَإِنَّ الَّتِي زَيَّنْتُهَا بِمَدِيحِكُمْ
مُحَبَّرَةٌ مَا قَامَ نَسْلٌ لآدَمِ
رَأَيْتُ عَدُوًّا بَاسِمًا غَيْرَ عَابِسٍ
وَكَانَ زَمَانًا عَابِسًا غَيْرَ بَاسِمِ
وَبَاشَرَنِي ، وَالعَيْنُ أَعْدَلُ شَاهِدٍ
عَلَى غَيْبِ وُدٍّ أَوْ دَفِينِ سَخَائِمِ
وَكَانَ غُرَابُ البَيْنِ قَدْ طَارَ قَبْلَهُ
يَهُزُّ ذُنَابَاهُ كَسِيرَ القَوَادِمِ

(42) القسي من النقود : البهرج الفاسد .

وَإنِّي لأرْجُو مِنْكَ أجْرًا يُعِزُّنِي
عَلَى رَغْمِ مَجْدُوعِ المَعَاطِسِ أرْغَمِ

60 وَلاَ شَيْءَ الاَّ فِي يَدِ اللَّهِ ،إنْ قَضَى
بِهَا يَسَّرَتْ مِنْ كَفَّ أغْلَبَ هَاشِمِيّ

وَمَدَّ بِهَا الوَهَّابُ نَفْسًا كَرِيمَةً
مُعَوَّدَةً بَذْلَ اللُّهَى وَالمَكَارِمِ (43)

فَمِثْلِي تَبَقَّى شُكْرُهُ وَثَنَاؤُهُ
وَمِثْلُكَ يُرْجَى لِلأمُورِ الجَسَائِمِ

يُغَنِّي بِهَا الرُّكْبَانُ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ
وَتَحْدِي بِهَا خُوصُ الرِّكَابِ السَّوَاهِمِ

(طويل)

التعليق :

1 — قلنا انّ القسم التاريخيّ (الأبيات 1 — 33) من القصيدة الفزاريّة مصحوب بشرح ضاف لم يذكر مؤلّفه وقد نقل هذا الشارح المجهول شيئا من ترجمة الفزاري عن المؤرّخ «أبي محمّد عبد الرحمان العتقيّ» صاحب كتاب «التاريخ الجامع الى أيّام العزيز الفاطميّ» (44) وهو كتاب مفقود مثل تاريخ ابن شدّاد الصنهاجي المسمّى «كتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان» .

2 — ولا يلام الشارح على ترك بقيّة القصيدة بدون شرح . فليس فيها ما يحتاج الى توضيح ولا ما يمتاز بجمال خاصّ ، خصوصا القسم الاخير منها (الابيات 52—63)الذي خصّصة الفزاري للفخر بقصيدته وللاستجداء،وكأنّه قد فرغت يداه من المعاني المدحيّة ، فحشا الابيات بهذا الفخار البارد . وربّما

---

(43) آثارنا قراءة الصدر بالنصب.

وَإِنِّي لأَرْجُو مِنْكَ أَجْرًا يُعِزُّنِي
عَلَى رَغْمِ مَجْدُوعِ المَعَاطِسِ أَرْغَمِ

60 وَلاَ شَيْءَ إلاَّ فِي يَدِ اللَّهِ، إنْ قَضَى
بِهَا يَسُرَتْ مِنْ كَفِّ أَغْلَبَ هَاشِمِيّ

وَمَدَّ بِهَا الوَهَّابُ نَفْسًا كَرِيمَةً
مُعَوَّدَةً بَذْلَ اللُّهَى وَالمَكَارِمِ (43)

فَمِثْلِي تَبْقَى شُكْرُهُ وَثَنَاؤُهُ
وَمِثْلُكَ يُرْجَى لِلأُمُورِ الجَسَائِمِ

يُغَنِّي بِهَا الرُّكْبَانُ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ
وَتَحْدِي بِهَا خُوصُ الرِّكَابِ السَّوَاهِمِ

(طويل)

التعليق :

1 — قلنا انّ القسم التاريخيّ (الأبيات 1 — 33) من القصيدة الفزاريّة مصحوب بشرح ضاف لم يذكر مؤلّفه وقد نقل هذا الشارح المجهول شيئا من ترجمة الفزاري عن المؤرّخ «أبي محمّد عبد الرحمان العتقيّ» صاحب كتاب «التاريخ الجامع الى أيّام العزيز الفاطميّ» (44) وهو كتاب مفقود مثل تاريخ ابن شدّاد الصنهاجي المسمّى «كتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان» .

2 — ولا يلام الشارح على ترك بقيّة القصيدة بدون شرح . فليس فيها ما يحتاج الى توضيح ولا ما يمتاز بجمال خاصّ ، خصوصا القسم الاخير منها (الابيات 52—63)الذي خصّصة الفزاري للفخر بقصيدته وللاستجداء،وكأنّه قد فرغت يداه من المعاني المدحيّة ، فحشا الابيات بهذا الفخار البارد . وربّما

(43) آثارنا قراءة الصدر بالنصب.

كنّا نحتاج الى توضيح للقسم الاوسط (الابيات 42 الى 50) الذي تضمّن في رأينا اشارات الى الفتنة الخارجيّة ، ولكنها تلميحات غامضة ، فلا ذكر لابي يزيد ولا لاصحابه ولا لاماكن الوقائع الحاسمة ، حتى لكأنّ الفزاري يَسْتَحِي من الطعن في من كان تمنّى بالامس فوزه على الشيعة . ولعلّه أيضا يقيس مدحه للعبيديّين فلا يرفعهم الاّ بمقدار.

3 — ولو قابلنا هذا المدح بالابيات الميميّة في هجوهم (القطعة عدد 2 الماضية من شعره) ، لرأينا أنّ ذاك الهجاء يتطلّب تكفيرا أعظم من هذا المدح الموزون المعتدل الذي لا يعترف لهم الاّ بالانحدار من سلالة محمّد و «صنوه عليّ» (البيت 37) . أمّا أحقّيتهم بالخلافة ، أمّا فوزهم بالهداية الخاصّة ، أمّا علمهم بالغيب ، وهي معان تكثر في مدائح ابن هانيء ، فلا ذكر لها هنا . والسبب في هذا التحفظ هو بعد الشقّة بين أهل القيروان وبني عبيد ، مهما تلطّف خلفاؤهم في استجلاب رؤوس أهل السنّة ، والتحبّب الى ذوي الجاه منهم . وهذه العداوة ، الخفيّة غالبا ، العلنيّة أحيانا ، تواصلت طيلة اقامة الدولة الشيعيّة بالمغرب ، واليها يعزو بعض الباحثين ، مثل حسين مؤنس في مقدّمة الجزء الاوّل من تحقيقه لرياض النفوس ، وفرحات الدشراوي في أطروحته ، وجورج مارسي وغيرهم ، قرار المعزّ لدين الله بالتخلّي عن إفريقية والانتقال الى القاهرة .

— 4 —

وقال أبو القاسم الفزاري يرثي أبا الفضل الممّسي :

عَلَيْكَ أبَا الفَضْلِ أنسِيَاقُ دمُوعِي
وَشُغْلِي بِأنْوَاعِ الأسَى وَوَلُوعِي

وَنَارَان : نَارٌ فِي المآقِي مِنْ البُكَا
وَنَار مِنَ الأشْجَان بَيْنَ ضلوعِي

عَلَى طَاهِرِ الأَخْلاَقِ مُبَرَّإٍ
مِنَ السُّوءِ مَحْمُودٍ بِكُلِّ صَنِيعِ

أَدِيبٍ أَرِيبٍ مَاجِدٍ مُتَكَرِّمٍ
حَلِيمٍ وَقُورِ الجَانِبَيْنِ بَدِيعِ

5 عَلَى سُنَّةِ الإِسْلاَمِ عَاشَ كَأَنَّمَا
يُقَابِلُهُ مِنْهَا انْفِلاَقُ صَدِيعِ

مَنُوعٍ مِنَ الفَحْشَاءِ وَالإِثْمِ نَفْسَهُ
وَلَيْسَ لِبَاغِي فَضْلِهِ بِمَنُوعِ

بِنَفْسِيَ صَرِيعٌ جَالَتِ الخَيْلُ حَوْلَهُ
بِمُعْتَرَكِ الأَبْطَالِ أَيُّ صَرِيعِ

قَضَى نَحْبَهُ بَيْنَ الأَسِنَّةِ وَالظُّبَى
شَهِيدًا مَعَ العُبَّادِ غَيْرَ جَزُوعِ

وَظَلَّ إِلَى دَارِ العُلَى مُتَطَلِّعًا
يُنَاجِي إِلَيْهَا نَفْسَهُ بِطُلُوعِ

10 وَضُمِّخَ فِي مِثْلِ الخَلُوقِ بِطَعْنَةٍ
كَسَتْ صَدْرَهُ المَحْمُودَ ثَوْبَ نَجِيعِ

وَمَدَّ يَمِينًا كَانَ مُعْتَمِدًا بِهَا
لِطُولِ سُجُودٍ أَوْ لِطُولِ رُكُوعِ

وَقَلَّبَ طَرْفًا طَالَمَا بَاتَ سَاهِرًا
بِمِحْرَابِهِ يُذْرِي وَكِيفَ دُمُوعِ

وَمَا مَاتَ حَتَّى بُشِّرَ الحُورُ بِاسْمِهِ
وَعَايَنَّهُ فِي صِحَّةٍ وَهُجُوعِ

عَلَى طَاهِرِ الأَخْلاَقِ مُبَرَّإٍ
مِنَ السُّوءِ مَحْمُودٍ بِكُلِّ صَنِيعِ

أَدِيبٍ أَرِيبٍ مَاجِدٍ مُتَكَرِّمٍ
حَلِيمٍ وَقُورِ الجَانِبَيْنِ بَدِيعِ

5 عَلَى سُنَّةِ الإِسْلاَمِ عَاشَ كَأَنَّمَا
يُقَابِلُهُ مِنْهَا انْفِلاَقُ صَدِيعِ

مَنُوعٍ مِنَ الفَحْشَاءِ وَالإِثْمِ نَفْسَهُ
وَلَيْسَ لِبَاغِي فَضْلِهِ بِمَنُوعِ

بِنَفْسِي صَرِيعٌ جَالَتِ الخَيْلُ حَوْلَهُ
بِمُعْتَرَكِ الأَبْطَالِ أَيُّ صَرِيعِ

قَضَى نَحْبَهُ بَيْنَ الأَسِنَّةِ وَالظُّبَى
شَهِيداً مَعَ العُبَّادِ غَيْرَ جَزُوعِ

وَظَلَّ إِلَى دَارِ العُلَى مُتَطَلِّعاً
يُنَاجِي إِلَيْهَا نَفْسَهُ بِطُلُوعِ

10 وَضُمِّخَ فِي مِثْلِ الخَلُوقِ بِطَعْنَةٍ
كَسَتْ صَدْرَهُ المَحْمُودَ ثَوْبَ نَجِيعِ

وَمَدَّ يَمِينًا كَانَ مُعْتَمِداً بِهَا
لِطُولِ سُجُودٍ أَوْ لِطُولِ رُكُوعِ

وَقَلَّبَ طَرْفًا طَالَمَا بَاتَ سَاهِراً
بِمِحْرَابِهِ يُذْرِي وَكِيفَ دُمُوعِ

وَمَا مَاتَ حَتَّى بُشِّرَ الحُورُ بِاسْمِهِ
وَعَايَنَّهُ فِي صِحَّةٍ وَهُجُوعِ

وَأَشْرَفْنَ مِنْ أَعْلَى الجِنَانِ تَشَوُّقًا
وَنَادَيْنَ فَارْتَاحَ ارْتِيَاحَ سَمِيعِ

15 وَلَوْ قِيلَ : بِعْ بعضَ الذي نِلْتَ بِالذي
تَرَكْتَ لَكَانَ البَعْضُ غَيْرَ مَبِيعِ

وَلَطْتُ لَهُ أَبْكِي وَلَكِنْ لمعْشَرٍ
أُصِيبُوا بِهِ مِنْ مُفْرَدٍ وَجَمِيعِ

وَلِلفِقْهِ وَالأَسْلاَمِ وَالدِّينِ وَالتقَى
وَطُولِ اجْتِمَاعٍ وَاصْطِنَاعِ صَنِيعِ

مَضَى عَالِمُ العِلْمِ الرَّفِيعِ وَطَالَمَا
أَصَابَتْ قَنَاةُ المَوْتِ كُلَّ رَفِيعِ

وَلَوْلاَ التَأَسِّي بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَأَعْظِمْ بِهِ مِنْ أُسْوَةٍ لِمَرُوعِ

20 وَأَصْحَابِهِ الأَخْيَارِ وَالسَّلَفِ الأُلَى
قَضَوْا نَحْبَهُمْ من مارع وَمَرُوعِ (44)

وَعِلْمِي بِإِكْرَامِ الشهادَةِ نَالَهَا
سَرِيعًا إِلَيْهَا وَهْوَ غَيْرُ سَرُوعِ

بِجَيْشٍ لَوَ انَّ المُصْطَفَى كَانَ شَاهِدًا
لَجَاهَدَ فِيهِ الشِّرْكَ غَيْرَ مُضِيعِ

لَقَلَّ عَزَائِي إِثْرَهُ وَتَصَبُّرِي
وَطَالَ بُكَائِي بَعْدَهُ وَخُشُوعِي

---

(44) العتقي : انظر كتاب العيون والحدائق بتحقيق عمر السعيدي ح 1 ص XXXV ، ومعجم كحالة X 244 ، وحكماء للقفطي ص 187 . وهو غير عبد الرحمان العتقي الفقيه المالكي المتوفى سنة 191 للهجرة .

(45) مارع ومروع صقان من مادة مرع بمعنى أخصب .

سَقَى جَدَثًا أضْحَى بِهِ الفَضْلُ ساكِنًا
مِنَ المُزْنِ خَفَّاقُ البُرُوقِ هَمُوعُ

25 وَنَالَتْهُ مِنَّا رَحْمَةٌ وَتَحِيَّةٌ
عَلَى قُرْبِ دَارٍ أوْ مَحَلٍّ شَسُوعِ

ألا لَيْتَ شعري هلْ أرَى نُورَ وَجْهِهِ
بِيَوْمٍ عَصِيبٍ لِلأنَامِ جَمُوعِ ؟

شَفِيعُكَ فِيهِ يَا أبَا الفَضْلِ مَنْ لَهُ
غَضِبْتَ ، رَسُولُ اللَّهِ خَيْرُ شَفِيعِ

أعَدَّ لَكَ اللَّهُ الكَرَامَةَ وَالرِّضَى
بِأعْلَى مَحَلٍّ فِي الجِنَانِ وَسِيعِ

وَجَازَاكَ عَنْ دِينِ النَّبِيِّ وَهَدْيِهِ
جَزَاءَ مُرِيدٍ لِلإلَاهِ مُطِيعِ

30 سَأبْكِيكَ حَتَّى يُقْرِحَ الدَّمْعُ مُقْلَتِي
وَمَا ذَاكَ إنْ طَاوَلْتُهُ بِشَنِيعِ

وَيُخْلِدُ ذِكْرًا مِنْكَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ
شِعْرٌ عَجِيبٌ لِلرُّوَاةِ بَدِيعُ

(طويل)

المصدر :

رياض النفوس ، الورقة 146 أ .

ترتيب المدارك للقاضي عياض ج 3 ص 322 (وقد ذكر منها الأبيات 1، 5، 6، 16) .

التعليــق :

لا ذكر للشيعة ولا للخوارج ، وهذا من باب التقيّة والتحرّي ، يتّقـي الفزاري نقمة الفاطميّين ان هو هجاهم ، ويتحفّظ من أبي يزيد نظرا لمذهبه أوّلا ولنواياه الثوريّة ثانيا . فلذلك لا نجد تلميحا إلى وقعة الوادي المالح الآ في البيت 22 حيث نسب جيش الفواطم إلى الشرك .

وبعد هذا ، فالقصيدة ليست بذات قيمة فهـي من شعر الفقهاء . وفيهـا أخطاء كالاقواء في البيتين 24 و31 .



— 5 —

ونسب إلى الفزاريّ هـذا البيـت :

« وَمِـنَ البَلِيـَّـةِ فِـي المَـوَائِـدِ أَنْ تَرَى
جُـوعَ الجَـمَـاعَـةِ فِـي انْتِظَارِ الوَاحِـدِ »
(كامل)

المصــدر :

ريـاض النفـوس ومعالم الايمـان .

المخلاة للعامليّ ـ القاهرة 1957 ص 255 .

3 – سهل بن إبراهيم الورّاق

هذا شاعر قد أدرك هو الاخر خلافة المعزّ الفاطمي ، بالرغم ممّا يقوله ياقوت من أنّه « من شعراء القرن الثاني » ، وهو سهو أو تحريف اذ يقول مباشرة بعد هذا : « قال في حصار أبي يزيد مخلد لسوسة ... » فكيف يكون من مواليد القرن الثاني ومع ذلك يعرض لثورة صاحب الحمار في القرن الرابع ؟ فالصواب في عبارة ياقوت هو اذن « القرن الثالث » ، وقد يكون ولد في أواخر القرن الثالث ، اذ أنّ المالكي في رياض النفوس ينسب إليه هو الآخر حكاية مع الزاهد الصالح أبي اسحاق السبائي ، شبيهة بالقصّة التي سبقت في ترجمة الفزاري . يقول المالكي في استعراض كرامات الزاهد القيرواني:

« ومدح ابن قتّار معدّا واسماعيل بمدحة كفر فيها . فقيل له : أيّكما « أشعر ، أنت أم سهل الورّاق ؟ فقال : أنا أشعر في مدحكم وسهل أشعر في « هجوكم ، فتغيّظ (السلطان ؟) لهذا . فخاف سهل لمّا بلغه (الخبر) خوفا « عظيما ، ومضى إلى دار أبي اسحاق السبائي فقرع الباب ودخل . وكانت « للشيخ فراسة . فلمّا نظر إليه قال له : أنت سهل ؟ قال : نعم . فقام إليه « وأجلسه بجواره وأقبل عليه وقال له : ما الذي جاء بك ؟ فأخبره بما قال ابن « قتّار . فقال له : أنشدني القصيدة واجعل أصبعيك في أذنيك ، وارفع « صوتك بها ما استطعت . فأنشدها له وهي « هل أنت بعد الشيب « ذو صبوات ؟ ... » (المقطوعة عدد 2) فلمّا فرغ من انشادها قال له أبو اسحاق « السبائيّ : أخبرني ما أردت بهذه القصيدة ؟ فقال له : أردت بها الله تعالى . « فقال : اللهمّ احمه وعافه واكفه ! فخرج من عنده فجاز بأبي القاسم « الفزاري فقال له : الدَّوَرَانُ عليك (1) . فخاف سهل . فقال له: منذ ثلاث

(1) أي : إنهم يبحثون عنك ويطلبونك .

« ساعات وجه إليك السلطان بخلعة وصرة . فقال له : ذلك الوقت الذي كنت
« فيه عند أبي اسحاق ... (2) » .

المقطوعة الأولى :

« إن الخَوَارِجَ صَدَّها عَنْ سوسَةَ مِنّا طِعانُ السُّمْرِ وَالإقْدَامُ
« وَجِلادُ أسْيافٍ تَطايَرُ بَيْنَهَا في النَّقْعِ دون المُحصَنَاتِ الهامُ
(كامل)

المصدر :

البكري : المغرب ، نشر دي سلان ، الجزائر 1858 ص 35 .
ياقوت : أدباء ج 11 ص 267 (ويسميه « سهم » الورّاق) .
المالكي : رياض النفوس مخطوط باريس ورقات 54 ب ، 56ب ، 103ب
مخطوط القاهرة ورقة 69ب و227ب .
رحلة التجاني نشر ح. ح. عبد الوهاب ، تونس 1958 ص 28 وتنبيه أ .

التعليق :

1 — يُفهم من الكلام الذي نسبه المالكي إلى ابن قتّار أنّ سهل الورّاق قد تنقّل بين المدح والهجاء للفاطميّين . وشأنه في هذا شأن الفزاري . غير أنّ المالكي لم يرو لنا نموذجا من مدائحه فيهم . وهذا طبيعيّ ما دام سهل قد كفّر عن المدح بأن رجع إلى هجائهم . ثمّ نتساءل عن موقف سهل ازاء أبي يزيد ، لماذا لم يتّبع عامّة أهل القيروان في مساندتهم للخارجيّ نقمة منهم على العبيديّين ؟ أم هل اقْتُطِعَ هذان البيتان من مدح للفاطميّ بعد هزيمة صاحب الحمار؟

(2) رياض النفوس ورقة 207 أ .

2 — يستنتج من القصّة أن القزاري والورّاق كانا معاصرين للسبائي الذي توفي سنة 356 . فهما حينئذ معاصران لابن هانيء ، وهما من شعراء النصف الأوّل من القرن الرابع الذين عرضوا للفاطميّين بالمدح أو بالذمّ . وسهل هذا هو إذن غير سهل بن محمد الوراق الأندلسي الذي ذكر صاحبُ كتابالعيون والحدائق (2م) وفاته بسوسة في سنة 286 هـ .

3 — صبغة التفيلق واضحة في هذه القصّة وفي التي سبقتها بين الشاعرين والعابد الصالح . وانّما القصد منهما إبراز مناقب الوليّ القيروانيّ والتأكيد على كراماته . ونحن ، على هذا الأساس ، لا نرفض القصّتين ، بل نستثمرهما فنأخذ منهما ما يصور واقعا ما ، اجتماعيّا وسياسيّا : وهو عداوة القيروان للشيعة ، تلك العداوة التي ستظلّ مكبوتة مخفيّة إلى أن يعلن بنو زيري الانسلاخ عن مذهب المشارقة والرجوع إلى مذهب السنة والجماعة ، فتنفجر الكراهية وتنقلب تقتيلا للشيعة وتنكيلا بأنصارهم وأتباعهم . وإنّ تأرجح هذين الشاعرين ، وغيرهم ، في مواقفهم ازاء بني عبيد ، لصورة من بلبلة القيروان بعد مساندتها لأبي يزيد ، وانهزام الثائر أمام جيوش المنصور .

4 — كلّ من الورّاق والفزاري أقرب إلى الفقهاء منه إلى الشعراء ، وهذا الانتساب إلى أسرة رجال الدين يظهر بالخصوص في رثائهما لفقهاء القيروان مثل أبي الفضل الممسي وأبي عثمان الحدّاد .

المقطوعة الثانية :

تائيّة سهل الورّاق في هجو بني عبيد

هَلْ أنْتَ بَعْدَ الشَّيْبِ ذُو صَبَوَاتِ
أمْ مُرْعَوٍ عَنْهَا مُطِيعُ نُهَاةِ ؟

(2 مكرر) كتاب العيون والحدائق ج 1 ص 92 .

بِأَبِي مُجِيبُكَ مِنْ سُؤَالِكَ أَرْبُعًا
كَانَتْ مَحَلَّ العِيرِ وَالظَّبْيَاتِ (3)

يَا صَاحِبَيَّ سَلاَ ذَوِي الردَّات ( )
مَا بَالُ وَحْيِ نَبِيِّهِمْ لم يأت؟ (4)

ما كانَ عنهُ مبطِئًا ناموسهُ
مِنْ قَبْلُ فِي وَقْتٍ مِنَ الأَوْقَاتِ

5 فالآنَ لاَ وَحْيٌ إليه ، فَأَيْنَ مَا
زَعَمُوا مِنَ الإِبهَامِ وَالأَبْهَاتِ ؟

غَضِبَ الإلاَهُ عَلَى نَبِيٍّ لَمْ يَزَلْ
حَيْرَانَ مَغْرُورًا أَخَا سَكَرَاتِ

متهتِّكًا فِي خَمْرِهِ وَسَمَاعِه
مُتَرَدِّدًا فِي الغَيِّ وَالشُّبُهَاتِ

متعلِّلاً بِالتُّرَّهَاتِ ، وَتَارَةً
يَتَنَفَّسُ الصُّعَدَاءَ بِالزَّفَرَاتِ

لاَ فَرَّجَ الرَّحْمانُ كَرْبَكَ ! إِنَّمَا
فَرَجُ الوَرَى أَنْ تَأْلَفَ الكَرَبَاتِ

10 يا ابْنَ الأَرَاذِلِ وَالمَجُوس ، أيا ابنَ
مَنْ هَتَكَ الفرُوجَ وَضَيَّعَ الصَّلَوَاتِ

أَسْفَى عَلَيْكَ الخَارِجِيُّ نَصِيبَكُمْ
وَافْتَكَّ مِنْكَ نِهَايَةَ المِيقَاتِ

---

(3) صدر البيت عسير الفهم في صورته الحالية .
(4) صدر هذا البيت ينقصه مقطع [ ] .

اللّـهُ باعِثُـهُ فمَـنْ ذا صارِفٌ
مـا اللّـهُ باعِثُـهُ مِـنَ النَّقَمَـاتِ ؟
فلتَقرَعَـنَّ عصَاهُ كُـلَّ مُظَلَّلٍ
عادَى النَّبِـيَّ وحَـرَّفَ السُّورَاتِ
لتُطَهِّـرَنَّ الأرْضَ مِنْ ذِي رِدَّةٍ
بِالمُقْرَبِـينَ وكُـلِّ طَـاغٍ عـاتِ
15 جدَّدتـمُ كَيْدَ الإلاهِ ومَكْـرَهُ
فأمِنْتُمُ واللّـهُ ذُو سَطَـوَاتِ (5)
وأبَيْتُـمْ إلاَّ تمَـادِيَ مُسْرِفٍ
فِي ظُلْمِـهِ ، والظُّلْمُ ذُو ظُلُمَاتِ
ناداكُمُ رَبُّ العِبَـادِ بِرَجْفَـةٍ
فَغَدتْ جُذُوعُ النَّخْـلِ مُنْقَعِرَاتِ
فلَقَدْ كَسَا طُولَ البِلادِ وعَرْضَها
مِنْ جَوْرِكُمْ مَا فَاقَ كُـلَّ صِفاتِ
قَـوْمٌ إساءَتُهُمْ إلَيْكَ بِقَـدْرِ مَـا
أحْسَنْتَ ، لاَ بَلْ مِثْلُهُ مرَّاتِ
20 مَا قصَّ فِي التَّنْزِيلِ سَوْءَةَ أُمَّـةٍ
الاَّ وَفِيهِـمُ ضِعْفُهَـا سَـوْءَاتِ
ومَتَى نُخَبِّرْهُمْ بِسِيرَةِ مَنْ مَضَى
قَالُـوا : أتُخْبِرُنَا بِمُخْتَـرِقَاتِ ؟
نَكَرُوا فما عرَفوا الجَميلَ ولاَ احتَذَوْا
فعل الكِرَامِ ولاَ اقْتَدَوْا بقِداتِ (6)

---

(5) تحقيق الصدر عسير .

(6) القدات مفرده قدة (مادة ق د و) وهي القدوة أي ما يقتدى به .

اللّـهُ بَاعِثُـهُ فَمَـنْ ذَا صَارِفٌ
مَـا اللّـهُ بَاعِثُـهُ مِـنَ النَّقَمَـاتِ ؟
فَلْتَقْرَعَـنَّ عَصَاهُ كُـلَّ مُظَلِّلٍ
عَادَى النَّبِـيَّ وَحَـرَّفَ السُّورَاتِ
لَتُطَهِّـرَنَّ الأَرْضَ مِنْ ذِي رِدَّةٍ
بِالمُقْرَبِيـنَ وَكُـلِّ طَـاغٍ عَـاتِ
15 جَدَّدْتُـمُ كَيْدَ الإِلَاهِ وَمَكْـرَهُ
فَأَمِنْتُمُ وَاللّـهُ ذُو سَطَـوَاتِ (5)
وَأَبَيْتُـمْ إِلاَّ تَمَادِيَ مُسْرِفٍ
فِي ظُلْمِـهِ ، وَالظُّلْمُ ذُو ظُلُمَاتِ
نَادَاكُمُ رَبُّ العِبَـادِ بِرَجْفَـةٍ
فَغَدَتْ جُذُوعُ النَّخْـلِ مُنْقَعِرَاتِ
فَلَقَدْ كَسَا طُولَ البِلَادِ وَعَرْضَهَا
مِنْ جَوْرِكُمْ مَا فَاقَ كُـلَّ صِفَاتِ
قَـوْمٌ إِسَاءَتُهُمْ إِلَيْكَ بِقَـدْرِ مَـا
أَحْسَنْتَ ، لاَ بَلْ مِثْلُهُ مَرَّاتِ
20 مَا قَصَّ فِـي التَّنْزِيلِ سَوْءَةَ أُمَّـةٍ
إِلاَّ وَفِـيهِـمْ ضِعْفُهَـا سَـوْءَاتِ
وَمَتَى نُخَبِّرْهُمْ بِسِـيرَةِ مَنْ مَضَى
قَالُـوا : أَتُخْبِرُنَا بِمُخْتَـرَقَاتِ ؟
نَكِرُوا فما عرفوا الجَميلَ وَلاَ احتَذَوْا
فعل الكِرَامِ وَلاَ اقْتَدَوْا بقِداتِ (6)

---

(5) تحقيق الصدر عسير .
(6) القدات مفرده قدة (مادة ق د و) وهي القدوة أي ما يقتدى به .

وَإذا الأعَانِيتُ اصْطَفَيْنَكَ فَاسْتَمِعْ
تَأْوِيلَهُمْ فِي مُحْكَمِ الآيَاتِ
كَتَمَرُّدِ المُجَّانِ وَاسْتِهْزَائِهِمْ
فِي القَوْلِ مِنْ زُورٍ وَمُخْتَلَقَاتِ
25. أوْ كَانْهِمَارِ مُوَسْوِسٍ يَعْتَادُهُ
هَذَيَانُهُ وَخَبَالُهُ تَارَاتِ
قَدْ ألَّفُوهُ وَمَثَّلُوا أمْثَالَهُ
تَأليفَ بـرد خـرافة القينـاتِ (7)
الطَّاعِنِينَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَالقَائِلِينَ بِأسْخَفِ القَالاتِ
إنَّ الإمَامَ هُوَ النَّبِيُّ وَإنَّهُ
رَبٌّ تَعَالَى اللَّهُ ذُو العَظَمَاتِ
فُتِنُوا بِأحْمَقَ مَنْ عَلَيْهَا، كَيفَ لَوْ
عَلِقُوا بِذِي لُبٍّ وَذِي إخْبَاتِ ؟
30 هَدَمَ المَسَاجِدَ وَابْتَنَاهَا مَنْزَهًا
لِمَضَارِبِ العِيدَانِ وَالنَّايَاتِ
وَأحَلَّ دَارَ البَحْرِ فِي أغْلالِهِ
مَنْ كَانَ ذَا تَقْوَى وَذَا صَلَوَاتِ
مُسْتَحْمِقٌ بَادِي العَوَارِ مُهَوِّسٌ
نَكِدٌ قَلِيلُ الخَيْرِ وَالبَرَكَاتِ
قَالٍ حَدِيثَ الصِّدْقِ رَافِضُ أهْلِهِ
رَاضٍ عَنِ الكَذَّابِ وَالقَينَاتِ (8)

---

(7) لم نهتد إلى قراءة مقنعة للبيت .

(8) في عجز البيت « القينات » ولعلها القيلات أو القالات .

وَإذا الأعَانِيتُ اصْطَفَيْنَكَ فَاسْتَمِعْ
تَأوِيلَهمُ فِي مُحْكَمِ الآيَاتِ
كَتَمَرُّدِ المُجَّانِ وَاسْتِهْزَائِهِمْ
فِي القَوْلِ مِنْ زُورٍ وَمُخْتَلَقَاتِ
25. أوْ كَانْهِمَارِ مُوَسْوَسٍ يَعْتَادُهُ
هَذَيَانُهُ وَخَبَالُهُ تَارَاتِ
قَدْ ألَّفُوهُ وَمَثَّلُوا أمْثَالَهُ
تَألِيفَ بـرد خـرافة القينـاتِ (7)
الطَّاعِنِينَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَالقَائِلِينَ بِأسْخَفِ القَالاَتِ
إنَّ الإمَامَ هُوَ النَّبِيُّ وَإنَّهُ
رَبٌّ تَعَالَى اللَّهُ ذُو العَظَمَاتِ
فُتِنُوا بِأحْمَقِ مَنْ عَلَيْهَا، كَيفَ لَوْ
عَلِقُوا بِذِي لُبٍّ وَذِي إخْبَاتِ ؟
30 هَدَمَ المَسَاجِدَ وَابْتَنَاهَا مَنْزَهًا
لِمَضَارِبِ العِيدَانِ وَالنَّايَاتِ
وَأحَلَّ دَارَ البَحْرِ فِي أغْلاَلِهِ
مَنْ كَانَ ذَا تَقْوَى وَذَا صَلَوَاتِ
مُسْتَحْمِقٌ بَادِي العَوَارِ مُهَوَّسٌ
نَكِدٌ قَلِيلُ الخَيْرِ وَالبَرَكَاتِ
قَالٍ حَدِيثَ الصِّدْقِ رَافِضُ أهْلِهِ
رَاضٍ عَنِ الكَذَّابِ وَالقَينَاتِ (8)

---

(7) لم نهتد إلى قراءة مقنعة للبيت .

(8) في عجز البيت « القينات » ولعلها القيلات أو القالات .

مَا زِلْتُ أُبْصِرُ فِي سَفَاهَةِ رَأْيِهِ
كَرَّ الزَّمَانِ عَلَيْهِ بِالآفَاتِ

35 فَعَلَيْهِ ،مَا لَبَّى الحَجِيجُ وَطَوَّفُوا ،
وَعَلَى ذَوِيهِ ، خَوَالِدُ اللَّعَنَاتِ

أَبَدًا تُعَادَى أَوْ تُرَاوَحُ رُوحُهُ
جُبْنًا وَبَعْدَ المَوْتِ مُعْتَوِرَاتِ (9)

(كامل)

المصـــدر :

ريـاض النفوس باريس 103 ب .
القاهـرة 227أ .

التعليـق :

هذا الهجاء عنيف حقّا وهو يبرّر قولة ابن قتّار «وسهل أشعر في مدحكم» ، ونلاحظ فيه شيئا من التهكّم اللاذع (الأبيات 3 إلى 6) وان كنّا لا نفهم بالتدقيق من هو هذا الامام الذي أبطأ عليه الوحي فصار في حيرة .

المقطوعـة الثالثـة :

وقال سهل بن إبراهيم الورّاق مرثية في أبي عثمان سعيد بن محمّد الحدّاد المتوفى سنة 302) :

نَفَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنِي خَيَالٌ مرَوِّعٌ
وَعَاوَدَ قَلْبِي شَجْوُهُ فَهْوَ مُوجَعُ

(9) هذا البيت صعب التخريج أيضا .

فَبِتُّ شَجِيَّ القَلْبِ سَفَّاحَ عَبْرَةٍ
أُرَاعِي نُجُومَ اللَّيْلِ من حَيْثُ تَطْلُعُ

حَيَاةُ الفَتَى ما عاشَ بُؤْسٌ وَحَيْرَةٌ
وَمَرُّ اللَّيَالِي قَدْ يَسُرُّ وَيَفْجَعُ

كَأَنَّ خُطُوبَ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
سَوَالِفُ ثَأْرٍ فَهْيَ بِي تَتَوَقَّعُ

5 لَعَمْرُكَ مَا صَادٍ عَنِ المَاءِ حَائِمٌ
يَطُوفُ بِهِ حَيْرَانَ يَدْنُو فَيُمْنَعُ

وَلاَ هَاتِفٌ بِاللَّيْلِ بَيْنَ حَمَائِمٍ
هَوَاجِعَ ، مَحْزُونٌ بِحَزْنٍ وَيَسْجَعُ

فَرِيدٌ وَحِيدٌ بَانَ عَنْهُ قَرِينُهُ
فَيَبْكِي وَيَحْكِي حَسْرَةً وَيُرَجِّعُ

بِأَوْجَعَ مِنْ قَلْبٍ قَرِيحٍ بِبَثِّهِ
غَدَاةَ نَعَى عُثْمَانَ نَاعٍ مُرَوِّعُ

نَعَى مَنْ شَجَا قَلْبِي وَكُنْتُ مُحَاذِرًا
عَلَيْهِ مِنَ الأَقْدَارِ مَا لَيْسَ يُدْفَعُ

10 تَرِقُّ لِهَذَا القَلْبِ مِنْ طُولِ بَثِّهِ
دُمُوعٌ كَتَبْدِيدِ الجُمَانِ تَدَفَّعُ

وَشَرَّدَ نَوْمَ العَيْنِ فَيْضُ دُمُوعِهَا
وَأَنَّى لِعَيْنٍ بَعْدَ عُثْمَانَ مَهْجَعُ ؟

لَقَدْ كُنْتَ جَلْدًا فِي النَّوَائِبِ صَابِرًا
عَلَى حَادِثِ الأَيَّامِ مَا تَتَضَعْضَعُ

فَبَانَ العَزَا وَالصَّبْرُ يَوْمَ فِرَاقِهِ
وَمَنْ فَارَقَ الأَحْبَابَ يَأْسَى وَيَجْزَعُ

وَإِنَّ اصْطِبَارِي عَنْ حَبِيبٍ فَقَدْتُهُ
فَكَيْفَ وَمَا فِي القَلْبِ لِلصَّبْرِ مَوْضِعُ ؟

15 تَجَرَّعَ كَأْسَ المَوْتِ وَهْيَ كَرِيهَةٌ
فَمَا لِي بِكَأْسِ الحُزْنِ لاَ أَتَجَرَّعُ ؟

يُؤَرِّقُنِي طَيْفٌ لِعُثْمَانَ زَائِرٌ
إِذَا هَجَعَ النُّوَّامُ يَسْرِي وَيَنْزَعُ

يُؤَرِّقُ عَيْنِي مِنْ لَذِيذِ غُمُوضِهَا
فَلَيْسَ لَهَا إِلاَّ سُهَادٌ وَأَدْمُعُ

عَجِبْتُ لِنَفْسِي بَعْدَهُ كَيْفَ لَمْ تَمُتْ
وَمَا بِحَيَاةٍ بَعْدَ أَنْ مَاتَ أَصْنَعُ ؟

فَلَوْ أَنَّ مَيْتًا كَانَ يُفْدَى فَدَيْتُهُ
وَهَيْهَاتَ مَا فِي المَوْتِ لِلحَيِّ مَطْمَعُ

20 لَقَدْ رَاحَ صَبْرِي يَوْمَ رَاحُوا بِنَعْشِهِ
وَثَوَّوْهُ لَحْدًا ثُمَّ ا بُوا وَوَدَّعُوا

أَرَيْحَانَةً قَدْ صِرْتِ رَيْحَانَةَ الثَّرَى
فَأَضْحَى البِلَى فِي جِسْمِكَ الغَضِّ يُسْرِعُ

أَلاَ بِأَبِي الغُصْنُ النَّضِيرُ الذِي ذَوَى
فَعَيْنِي عَلَى تِلْكَ النَّضَارَةِ تَدْمَعُ

سَقَى قَبْرَكَ الصَّوْبُ المُوَشِّي لأَرْضِهِ
وَجَادَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةٌ لَيْسَ تُقْلِعُ

(طويل)

المقطوعة الرابعة :

وله مرثية في أبي عثمان سعيد يقول في بعضها :

وَقَالُوا قَضَى نَحْبًا وَذَاقَ مَنِيَّةً
فَيَا لَكَ مِنْ خَطْبٍ يَحُلُّ عُرَى الصَّبْرِ

وَكَمْ مَارِقٍ عَادَى سَعِيدًا وَسَبَّهُ
وَضَاقَ بِهِ ذَرْعًا وَنَادَاهُ بِالهُجْرِ

يَوَدُّ بِقَلْبٍ زَادَ هَمًّا وَغُصَّةً
لَوَ انَّ أَبَا عُثْمَانَ فِي ظُلْمَةِ القَبْرِ

وَإِنَّ امْرَءًا مِنْكُمْ تَمَنَّى وَفَاتَهُ
وَلَيْسَ لَهُ عُذْرٌ، فَفِي وَاسِعِ العُذْرِ

5 فَلَيْتَ الَّذِي أَمْسَى شَجًى فِي حُلُوقِهِمْ
يُمَدُّ لَهُ حَبْلُ الحَيَاةِ إِلَى الحَشْرِ

أَلَيْسَ لِسَانَ المُسْلِمِينَ وَسَيْفَهُمْ
إِذَا كَادَهُمْ أَهْلُ الضَّلاَلَةِ وَالكُفْرِ ؟

أَلَيْسَ هِلاَلَ الأَرْضِ بَلْ سَيْفَ دَجْنِهَا
وَبَدْرَ دُجَاهَا حِينَ أَمْسَتْ بِلاَ بَدْرٍ ؟

يُجِيبُ وَمَا غَاصَتْ دَقَائِقُ فِكْرِهِ
جَوَابًا عَتِيدًا فِي أَدَقَّ مِنَ السِّحْرِ

إِذَا وَارَتِ الأَرْمَاسُ يَوْمًا سَعِيدَهَا
فَقَدْ غَرَبَتْ شَمْسُ الحِجَى عند من يدري

(طويل)

المصدر للمرثيتين :

رياض النفوس ، ورقة 54ب (مخطوط مصر) ، ورقة 69أ (مخطوط باريس) .

التعليق :

1 — بين القطعتين اختلاف في اسم المرثي . ففي العينية ، يسميه « عثمان » (بيت 8 وبيت 11) فكنيته هي اذن « أبو سعيد » . وفي الرائية يسميه « سعيد » (البيت 2 والبيت 9) ، فأبو عثمان هي الكنية . ولا نظنهما شخصين مختلفين ، لأن صاحب الرياض ساقهما في حديثه عن نفس الفقيه الفقيد : أبي عثمان سعيد بن محمد الحداد ، وكذلك صاحب معالم الايمان (10) .

2 — خصص صاحبا المعالم ترجمة طويلة لأبي عثمان سعيد بن الحداد ، وذكرا بالخصوص مناظرته لأبي عبد الله الداعي الفاطمي ، وشجاعته في الرد على « المشارقة » أي العبيديين ، وننقل هذه المناظرة للوقوف على جسارة الفقيه في الدفاع عن عقيدته من جهة ، وعلى تسامح العبيديين ازاء خصومهم في الرأي والعقيدة من جهة أخرى . فلا شك أن هذا النص الذي ساقه المؤلفان كشاهد على زيغ الفاطميين ، لا يخدم الغرض في ناحية على الأقل : وهي دعوى التعسف والكبت والارهاق العقائدي الذي سلطه المشارقة على أهل السنة . ويمكن أيضا أن نفسر هذا التسامح برغبة أبي عبد الله في استجلاب الفقهاء واستدراجهم في أول عهدهم بالسلطة في افريقية . وهذا نص المناظرة :

« قال له أبو عبد الله : أنتم تفضلون على الخمسة أصحابِ الكساء غيرَهم ، « يعني بأصحاب الكساء محمدا (صلعم) وعليا وفاطمة والحسن والحسين ،

(10) معالم الايمان للدباغ طبعة تونس ج 2 ص 202 .

« ويعني بغيرهم أبا بكر . فقال أبو عثمان : أيهما أفضل : خمسة سادسُهم
« جبريل ، أم اثنان ثالثُهما الله ؟ فبُهِت الشيعيّ ... » (11) .

وناظر أبو سعيد أيضا أبا العبّاس أخا الداعي أبي عبد الله ، ولم يستعمل معه هذه الحجّة الخطابيّة التي أفحمت أبا عبد الله :

« قال أبو عثمان : دخلت على أبي العباس فأجلسني معه في مكانه ، وهو
« يقول لرجل ممّن ينتسب إلى العراقيّين : أليس العالِم أفضلَ من المتعلّم أبدا ؟
« والعراقي (12) يقول له : نعم ... ففهمت مراده بذلك : وهو توكيد الطعن
« على أبي بكر (رضه) في سؤاله عليّا (رضه) عن فرض الجَدَّة . فقلت :
« إنّي أسمع كلاما يجب لله عليّ أن لا أسكت (عنه) . قال : وما ذاك ؟ قلت :
« المتعلّم يكون أعلم من المعلّم وأفضل منه... قال رسول الله (صلعم) : ربَّ
« حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقه منه ، وربّ حامل فقهٍ غير فقيه ... المعلّم
« يعلّم الصبيانَ القرآن فلا يزال يعلّمهم حتّى يكبر الصبيّ فيعطيه الله عزّ
« وجلّ من الفهم بعامّ القرآن وخاصّه ، وظاهره وباطنه ، ما لا يقدر المعلّم
« على علمه أبدا .. » (11) .

3 — هاتان المرثيّتان نظمتا في أوائل القرن الرابع ، أي قبل أن يولد شاعر الفاطميّين ابن هانىء وقد جعلناه محور بحثنا هذا . ولكنّا وجدنا لهما علاقة بالفاطميّين ، في هذا التعريض الخفيّ بمروقهم عن الدين وهذا التلميح إلى « أهل الضلالة والكفر » (البيت 6 من الرائيّة) ، فلذلك آثرنا نقلَهُما هنا .

---

(11) معالم ... ص 208 .

(12) العراقي يعني به فقيها حنفيا .

4 ــ محمّد بن عبد الله الأبرقطي

ذكره شارح القصيدة الفزاريّة بكلام يفهم منه أنّه كان من أنصار الفاطميّين ، وأنّه حرض المنصور على الانتقام من الفزاري بسبب انتصاره ساعة لأبي يزيد . ولم نجدْ للأبرقطي هذا ذكرا في كتب التراجم ولا في كتب الطبقات . حتّى المالكي صاحب رياض النفوس لا يذكره .

ونقل الشارحُ في مستهلّ شرحه للقصيدة الفزاريّة ، أبياتا للأبرقطي ، يحرّض فيها المنصور على الفزاري ويشنّع عليه هجوه لبني عبيد . وهذا الشعر قطعتان :

المقطوعة الأولى :

أمَنْصُورَ هاشِمٍ مَن لا يُحِبُّ حياتَكَ لا صَحِبَتْهُ الحيَاةْ
وَعَاجِلْهُ ، قَبْلَ أنْ يَنتهِي إلى أمد يَبْتَغِيه ، المَمَاتْ
أيمشِي الفزَارِيُّ فوقَ التُّرَابْ وَأظفَارُهُ فِيكُمُ دَامِيَاتْ ؟
فَأينَ بَوَادِرُكَ المُهْلِكَاتْ وَأينَ عزَائِمُكَ المُوجِزَاتْ ؟
5 أزِحْ عَنْهُ عَفْوَكَ لاَ تُبْقِهِ فَأفعالُهُ فِيكُمُ مُنْكَرَاتْ
وَجَازِ اللّعِينَ بِأفْعَالِهِ فَآثارُهُ فِيكُمُ بَاقِيَاتْ
(المتقارب)

المقطوعة الثانية :

أيَظُنُّ وغدُ فزارةٍ ظَنَّ امرىء جهِلَ العوَاقِبَ ثمّ لاَ يَتَفَكَّرُ
أنّ الذِي ارْتَكَبَ اللعِينُ وَنَالَه من بيتِ أهلِ الوَحيِ ذنبٌ يُغفَرُ ؟
هَيهاتَ تلكَ جِنَيِّةٌ مطوِيَّةٌ فإذَا أتَى الأجلُ المُوَقَّتُ تُنْشَرُ
(كامل)

5 ــ أحمد بن أفلح

قال في محاصرة أبي يزيد لمدينة سوسة سنة 946/335 :

« ألَمَّ بِسوسَةَ وبَغَى عَلَيْهَا ولَكِنَّ الإلاهَ لَهَا نَصِيرُ
« مدينَةُ سوسَةَ لِلغَرْبِ ثَغْرٌ تَدِينُ لَهَا المدائِنُ وَالقُصُورُ
« لقدْ لُعِنَ الذينَ بَغَوْا عَلَيْهَا كما لُعِنَتْ قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ
« أعَزَّ الدينَ خَالِقُ كُلِّ شيْءٍ بسوسةَ بَعْدَمَا التَوَتِ الأمُورُ
« وَلَوْلاَ سُوسةَ لَدَهَتْ دَوَاهٍ يَشيبُ لهولِهَا الطفلُ الصغيرُ
« سيبْلُغُ ذِكرُ سوسةَ كُلَّ أرْضٍ ويُفْشِي أهْلَهَا العدَدُ الكثيرُ »

(وافر)

المصدر :

1 ــ أبو عبيد البكريّ : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، نشر دي سلان ، الجزائر 1857 ص 35 . يقول البكريّ أنه شاعر سوسيّ ، ويسمّيه « أحمد بن بلح السوسيّ » .

2 ــ ابن عذاري : البيان ... ج 1 ص 219 . أسقط منها البيتين الأخيرين ولم ينب القطعة إلى قائل .

3 ــ رحلة التجاني ص 28 وقد أسقط صاحب الرحلة البيت الأوّل ، وخفّف الفخار بسوسة في البيت الخامس فصار «ولولا نصره لدهت دواه ...» عوض «ولولا سوسة ...» . ونسبها إلى «أحمد بن أفلح» وقال انّه من « قديم شعرائها (شعراء سوسة) ولم يزد .

4 ــ الوزير السرّاج : الحلل السندسيّة تحقيق محمد الحبيب الهلية ص 301 نقلها السراج عن رحلة التجاني ونقل ما قيل هناك عن صاحبها . وأراد محقّق الكتاب أن يتثبت من أحمد بن أفلح ، فنقل ما جاء في جذوة المقتبس

للحميدي (1) . ولكن يظهر أنّ الشخص الذي ترجم له الحميديّ كان فقيها أندلسيّا ، بدليل ما رواه ابن حزم الفقيه الظاهري في شأنه ، وقد قال ابن حزم انّه رآه وسمع من شعره . ومعلوم أنّ ابن حزم توفي سنة 1063/456 ، فلا يمكن أن يكون صاحب الترجمة هو شاعرنا السوسيّ الذي هجا أبا يزيد ومدح سوسة سنة 946/335 .

التعليــق :

هذه الأبيات نظمها شاعر مناهض للخارجيّ ، وهي مع هذا خالية من مناصرة للفاطميّين ، ولنتذكّر أنّ الفزاري نظم قصيدة بهذا الوزن وهذه القافية في هجو العبيديّين (2) ولكن لا يمكن أن نلحق بها هذه الأبيات نظرا لاختلاف المنهج السياسيّ فهي تهجو أبا يزيد لا بني عبيد . ثمّ ان البكري نسبها إلى شاعر من سوسة ، وانّ في هذا الاطراء القويّ لسوسة ما يدعّم هذه النسبة .

على انّه لا مانع من أن نعتبر أنّ هذا الشاعر السوسيّ قد عارض بأبياته هذه قصيدة الفزاري التي تضمّنت هي الأخرى مدحا مسهبا للقيروان وأهلها .

---

(1) الحميدي ، جذوة المقتبس ، القاهرة 1952 ص 110 (ترجمة عدد 195) .
(2) أنظـر ص 15 ..

للحميدي (1) . ولكن يظهر أنّ الشخص الذي ترجم له الحميديّ كان فقيها أندلسيًا ، بدليل ما رواه ابن حزم الفقيه الظاهري في شأنه ، وقد قال ابن حزم انّه رآه وسمع من شعره . ومعلوم أنّ ابن حزم توفي سنة 1063/456 ، فلا يمكن أن يكون صاحب الترجمة هو شاعرنا السوسيّ الذي هجا أبا يزيد ومدح سوسة سنة 946/335 .

التعليــق :

هذه الأبيات نظمها شاعر مناهض للخارجيّ ، وهي مع هذا خالية من مناصرة للفاطميّين ، ولنتذكّر أنّ الفزاري نظم قصيدة بهذا الوزن وهذه القافية في هجو العبيديّين (2) ولكن لا يمكن أن نلحق بها هذه الأبيات نظرا لاختلاف المنهج السياسيّ فهي تهجو أبا يزيد لا بني عبيد . ثمّ ان البكري نسبها إلى شاعر من سوسة ، وانّ في هذا الاطراء القويّ لسوسة ما يدعّم هذه النسبة .

على انّه لا مانع من أن نعتبر أنّ هذا الشاعر السوسيّ قد عارض بأبياته هذه قصيدة الفزاري التي تضمّنت هي الأخرى مدحا مسهبا للقيروان وأهلها .

(1) الحميدي ، جذوة المقتبس ، القاهرة 1952 ص 110 (ترجمة عدد 195) .
(2) أنظر ص 15 ..

6 ـ أبو جعفر أحمد بن محمّد المرورّوذي (أو المروزي)

هذا القاضي الشاعر الذي صحب الخلفاء الفاطميّين الثلاثة : المهدي والقائم ثم المنصور ، يدعى أيضا « المروَدي » فلا نثق اذن بلقبه . كان أبوه « محمد بن عمر المرورّوذي » أوّل قاض شيعيّ بالقيروان . ويقول أبو العرب في طبقاته انّه « تطاول على رجال صالحين فضربهم وحبسهم ، وأتى عبيد الله من سجلماسة فأقرّه على القضاء ... » (1) . ويظهر أنّه تمادى في التنكيل بأهل السنّة حتّى كثر منه التشكّي إلى المهديّ فعزله وعذّبه ثمّ قتله (2) .

وتولّى ابنه القضاء إلى زمن المنصور ، فنجد بعض أخباره في سيرة الأستاذ جوذر (3) . ويروي لنا ابن خلّكان في ترجمة المنصور العبيديّ (4) شاهدا على بديهة المروزي في استحضاره من الشعر المأثور ما يناسب المقام . وهي رواية وردت أيضا مفصّلة في « اتّعاظ الحُنَفاء » للمقريزيّ (5) .

ولم نجد من شعر المرورّوذي الاّ بضعة أبيات من أرجوزة مطوّلة تغنّى فيها بمناقب الأئمّة الفاطميّين ، وتعرّض في هذه الأبيات إلى انتصار المنصور على أبي يزيد . وعثرنا على أبيات أخرى في مدح المنصور ، في تاريخ ابن حمّاد .

المقطوعة الأولى :

سِرْنا وقَدْ حَلَّ بِقُرْبِ طُبْنَةْ وَصَارَ مِنْهُ أَهْلُهَا فِي مِحْنَهْ
فَأَعْظَمَ اللّهُ العَزِيزُ الْمِنَّهْ وَبُدِّلوا من بَعْدِ نَارٍ جَنَّةْ ...

(1) طبقات علماء افريقية وتونس ، ص 239 .
(2) محمد الطالبي : تراجم أغلبية ص 379 .
(3) سيرة الأستاذ جوذر نشر حسين وشعيرة ص 53 .
(4) وفيات ، ترجمة عدد 95 .
(5) ص 130 من طبعة الشيال .

...وبَعْدَها باجةَ أيْضًا أفْسَدَا	وَأهْلَهَا أجْلَى وَمِنْهَا شَرَّدَا
وَهَدَّمَ الأسْوَاقَ وَالْقصُورَا	وَالدُّورَ قَدْ فَتَّشَ وَالقبورَا
... ثُمَّ إلَى مَدِينَةٍ مَرضِيَّةْ	أسَّسَتْ علَى التَّقْوَى مَرْضِيَّةْ
فَحَلَّ فِي عَسْكَرِهِ المَسِيلَةَ	فِي هَيْئَةٍ كَامِلَةٍ جَمِيلَةَ ...
... ثمَّ أتَى بسكرة النَّخِيل	قَدِ اغْتَدَى في زِينَةِ الجميل...

المصـــدر :

البكري المغرب ص 51 إلى 59 .

المقطوعـة الثانيـة :

« ... لمّا قرب المنصور منها (من باغاية) أنشده أبو يعلى المروزيّ :

لقَدْ تاهَتْ بِطَلْعَتِكَ الغُرُوبُ	كمَا ابْتَهَجَتْ بدَوْلَتِكَ القلوبُ
لقَدْ زَهَتِ الخلاَفَةُ إذْ حَدَاهَا	نَجِيبٌ رَاحَ يَحْمِلهُ النَّجِيبُ

(وافر)

المصـــدر :

ابن حمّاد: أخبار ملوك بني عبيد ، نشر فوندارهايدن ، الجزائر 1927 ص 25 .

المقطوعـة الثالثـة :

« ... بعد قتل أبي يزيد قال أبو يعلى المروزي :

يا خيْرَ منْ وَهبَ العهودَ بعهْدِهِ	وَحكَى لنَا بالعَهْدِ سيرَةَ جَدِّهِ
عَجَبًا لِمعْتوهٍ يحدّثُ نَفْسَهُ	بوَساوِسٍ فيهَا شَقَاوَةُ جَدِّهِ
عاداك،وَانسَلَخَ الشّقيُّ مِنَ الهدى	حتّى أمَرْتَ بسلْخِهِ من جِلْدِهِ

المصـدر :

ابن حمّاد : أخبار ... ص 27 .

التعليـق :

الأقرب إلى الظنّ عندنا أنّ أبا يعلى هذا — وأيضا أبو جعفر وأبو يحيى — انّما هو المروروذي شاعر المنصور وقاضيه . المعلوم أنّ المروروذي رافق المنصور أثناء مطاردته لصاحب الحمار . وهو في المقطوعة الأخيرة ، يشير إلى عملـيّة سلخه وحشو إهابه بالتّبْن للتشفي منه . وقد رأينا وصفاً لهذه النّهاية الفظيعة عند الايادي (6) .

(6) أنظر المقطوعة الثالثة ص 169 .

7 – محمّد بن المنيب

لم يذكر هذا الشاعرَ الاّ ابنُ حمّاد في تاريخه ، وحتّى ذكرُه له قد ورد مقتضبا لا تعريف فيه ولا ترجمة ، وانّما نسب إليه أبياتا في وصف نهاية أبي يزيد الفظيعة :

حَلَّ البَلاَءُ بِمَخْلَدِ ... وَجَمِيعِ شِيعَتِهِ النَّوَاكِرْ
أمْسَى بِأرْضِ كِيَانَةٍ ... قَدْ بَانَ عَنْهُ كُلُّ نَاصِرْ
يَرْنُو بِطَرْفٍ خَاشِعٍ ... نَظَرَ المحَاصَرِ لِلمحَاصِرْ
يَرْنُو إلَى عَدَدِ الحَصَى ... وَالرَّمْلِ مِنْ تِلْكَ العَسَاكِرْ
5 يَا مَخْلَدَ ابْنَ سَبِيكَةٍ ... يَا شَرَّ بَيْتٍ فِي العَشَائِرْ
ذُقْ مَا جَنَتْهُ يَدَاكَ قَبْلُ ، ... مِنَ الكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرْ
ذَقْ هَوْلَ شَقِّكَ لِلبطُون ... وَمَا ارْتَكَبْتَ مِنَ الجَرَائِرْ
يَا شَرَّ مَنْ بِكِيَانَةٍ ... وَكِيَانَةٌ شَرُّ البَرَابِرْ
أنْظُرْ إلَى القَفَصِ الذِي ... لابُدَّ فِيهِ أنْتَ صَائِرْ
10 وَانْظُرْ إلَى أيْدِيكَ فِيهِ ... وَمُؤْنِسَيْكَ وَمَنْ تجَاوِرْ
قَدْ طَالَ شَوْقُهمَا إلَيْكَ ، ... فَزُرْهمَا يَا شَرَّ زَائِرْ

(مجزوء الكامل)

المصـدر :

ابن حمّاد : أخبار بني عبيد ص 33 .

التعليـق :

عبارة « النواكر » في البيت الأوّل تشير إلى النحلة الخارجية التي كان ينتحلها صاحب الحمار . و« كيانة » في البيت الثاني اسم الجبال أو الحصون التي اعتصم بها أبو يزيد في آخر أيامه ، وقد أشار إليها الايادي أيضا ، وابن

7 — محمّد بن المنيب

لم يذكر هذا الشاعرَ الاّ ابنُ حمّاد في تاريخه ، وحتّى ذكرُه له قد ورد مقتضبا لا تعريف فيه ولا ترجمة ، وانّما نسب إليه أبياتا في وصف نهاية أبي يزيد الفظيعة :

حَلَّ البَلاءُ بِمَخْلَدِ	وَجَمِيعِ شِيعَتِهِ النَّوَاكِرْ
أَمْسَى بِأَرْضِ كِيَانَةٍ	قَدْ بَانَ عَنْهُ كُلُّ نَاصِرْ
يَرْنُو بِطَرْفٍ خَاشِعٍ	نَظَرَ المحَاصَرِ لِلمحَاصِرْ
يَرْنُو إلَى عَدَدِ الحَصَى	وَالرَّمْلِ مِنْ تِلْكَ العَسَاكِرْ
5 يَا مَخْلَدَ ابْنَ سَبِيكَةَ	يَا شَرَّ بَيْتٍ فِي العَشَائِرْ
ذُقْ مَا جَنَتْهُ يَدَاكَ قَبْلُ ،	مِنَ الكَبَائِرِ وَالصَّغَائِرْ
ذُقْ هَوْلَ شَقِّكَ للبطُونِ	وَمَا ارْتَكَبْتَ مِنَ الجَرَائِرْ
يَا شَرَّ مَنْ بِكِيَانَةٍ	وَكِيَانَةٌ شَرُّ البَرَابِرْ
أنْظُرْ إلَى القَفَصِ الذِي	لابُدَّ فِيهِ أنْتَ صَائِرْ
10 وَانْظُرْ إلَى أيْدِيكَ فِيهِ	وَمؤْنِسَيْكَ وَمَنْ تجَاوِرْ
قَدْ طَالَ شَوْقُهمَا إلَيْكَ ،	فَزُرْهُمَا يَا شَرَّ زَائِرْ

(مجزوء الكامل)

المصدر :

ابن حمّاد : أخبار بني عبيد ص 33 .

التعليق :

عبارة « النواكر » في البيت الأوّل تشير إلى النحلة الخارجية التي كان ينتحلها صاحب الحمار . و« كيانة » في البيت الثاني اسم الجبال أو الحصون التي اعتصم بها أبو يزيد في آخر أيامه ، وقد أشار إليها الايادي أيضا ، وابن

هانىء ، وكثيرا ما يخطىء المحقّقون فيقرؤونَهَا «كتامة» وهم بالعكس أنصار الفواطم . أما الأبيات الأخيرة ففيها وصف للقفص الذي جعِلَ فيه شخص أبي يزيد ، أي جلده المملوء تبنًا ، مع قردين يتقافاذنه ويعبثان به . ذاك هو نوع التشفي الذي لجأ إليه المنصور حين تعذر أن يظفر بخصمه حيًا ، كأنَّ في تشويهه ميتا بعضَ التعويض عن استحالة تعذيبه حيًّا .



هانىء ، وكثيرا ما يخطىء المحقّقون فيقرؤونَهَا «كتامة» وهم بالعكس أنصار الفواطم . أما الأبيات الأخيرة ففيها وصف للقفص الذي جعِلَ فيه شخص أبي يزيد ، أي جلده المملوء تبنَا ، مع قردين يتقافاذنه ويعبثان به . ذاك هو نوع التشفي الذي لجأ إليه المنصور حين تعذر أن يظفر بخصمه حيّا ، كأنَّ في تشويهه ميتا بعضَ التعويض عن استحالة تعذيبه حيًّا .



8 – مجهول

في هذا المضمار نفسه ، أي التشفّي من أبي يزيد ، أورد ابن حمّاد مقطوعتين لشاعر لم يذكر لنا اسمه : وقال بعض الشعراء في سلخ أبي يزيد :

أمّا النِّفَاقُ فَقَدْ نَسِخْ وَأبو الكبَائِرِ قَدْ سلِخْ
كَانَ الفُوَيْسِقُ مَخْلَدٌ قِرْدًا ، وَلَكِنْ قَدْ مسِخْ
لَوْ قَدْ رَأَيْتَ مَحَلَّهُ وَبَنو الحِدَايَة تَصْطَرِخْ
لرَأَيْتَ مَا عَقَدَ اللَّعِين بِلُطْفِ رَبِّكَ قَدْ فسِخْ

(كامل مجزوء)

وقال من قصيدة :

فَسَلَخْتَهُ مِنْ جِلْدِه وَحَشَوْتَهُ حَشْوَ المزاودْ
وَضَرَبْتَهُ مَثَلاً يَسِيرُ فِي الأقَارِبِ وَالأبَاعِدْ
وَرَدَتْ بِهِ أطْمَاعهُ وَظَنونهُ شَرَّ المَوَارِد

(كامل مجزوء)

المصدر :

ابن حمّاد : أخبار ... ص 35/36 .

9 — مجهول

وقال بعض الشعراء في هجو بني عبيد لعنهم الله تعالى :

الماكرُ الغادرُ الغاوي لشيعتهِ — شرُّ الزنادِيقِ من صَحْبٍ وَتبَّاعِ
الناكثين عهودَ اللهِ كلُّهمُ — قَوْمٌ إلى سَفَهٍ فِي الناسِ أَوْضَاعِ
العابدين إذا عجلٌ يخاطِبُهُمْ — بِسِحْرِ هارُوتَ من كفرٍ وَتَبْداعِ
لو قيلَ للرُّوم أنتمْ مثلهم لَبكَوْا — أو اليهودِ لسَدُّوا صَمْخَ أَسْمَاعِ
5 ولو عزَوْنَا إلى إبليسَ ما مكروا — لقال إبليسُ : ما هذا من أَطْبَاعِي

(بسيط)

المصـدر :

رياض النفوس (باريس) ورقة 167 أ .

التعليـق :

هذا الهجاء العنيف للفاطميّين يقارب في قوّته هجاء الفزاري لهم ، ونحن محمولون على نسبة الأبيات إليه . ولكنّ المالكي ما كان ليغفله لو كانت الأبيات من نظمه حقيقة .

10 — مجهــول

« ... وفي هذه السنة (308) انتقـل عبيد الله الشيعـيّ بعيالـه وأمواله وثقلـه إلى المهديّة ... فقالت شعراء إفريقـة في انتقاله واستيطانه من الشعر ما ذكرنا أبياتا منه ليستدلّ بما فيه على ما كان يستحلّه ويجوز عنده من الاشعـار :

لِيَهْنَكَ أيها المَلِكُ الهمام	قدومٌ فيه للدَّهْرِ ابْتِسَامُ
حَطَطْتَ الرَّحلَ في بلدٍ كريمٍ	رَعَتْهُ لكَ المَلائِكَةُ الكِرَامُ
لَئِنْ عَظُمَ الحَرَامُ وما يليه	كما عظمتْ مشاهِدُهُ العِظَامُ
لَقَدْ عظمتْ بارض الغرب دارٌ	بها الصَّلَوَاتُ تقبَلُ والصِّيَامُ
5 هي المَهْدِيَّةُ الحَرَمُ المُوَقَّى	كمَا بِتِهَامَةَ البَلَدُ الحَرَامُ
كَأَنَّ مقَامَ إبْرَاهِيمَ فيه	تَرَى قَدَمَيْكَ إن عُدِمَ المَقَامُ
وَإِنْ لَثَمَ الحجيجُ الرُّكنَ أضحى	لَنَا بعِرَاصِ قَصْرِكُمُ التِّثامُ
لئنْ شابَ الزَّمانُ وَشابَ مُلكٌ	دَعائِمُهُ إذا عُجِمَتْ حُطَامُ
لَمُلكُكَ أيها المَهْدِيُّ مُلْكٌ	غُلامٌ والزَّمَانُ به غُلامُ
10 لك الدُّنيا وَنَسْلِكَ حيثُ كنتمْ	فَكُلُّكُمُ لَهَا أبَدًا إمَامُ

(وافـر)

المصـدر :

ابن عذاري : البيان المغرب نشر ليفي بروفنسال وكولان ج 1 ص 184

التعليـق :

هذه الأبيات هـي أقرب هذه المقطوعات إلى شعر ابن هانـىء في معانيه وفي بعض مبالغاتـه المعتـادة ، ولذلك نأسف أن يكون ناظمها مجهولا . ولكنّ صياغتها الضعيفة وتعثّر لفظها وانعدام الخيال فيها ، كلّ هذا يجعلها دون شعر ابن هانـىء أو الايادي بكثير . ولعلّ صاحبها فقيه من الفقهاء المنشقّين عن السنّة السائدة بالقيروان .

11 – محمّد البديل الكاتب

وفي هذا الموضوع نفسه ، انتقال عبيد الله إلى المهديّة ، نجد بيتين منسوبين إلى كاتب يدعى ابن بديل :

« بُنِيَتْ لدى أقصَى المغارِبِ دَارٌ قَطَنَتْ بها الأحْرَارُ وَالأبْرَارُ
« لاَذَتْ بِبرْدِ المَاءِ لَمَّا أن دَرَتْ أنّ القُلُوبَ علَى الحُسَيْنِ حرارُ »

المصـــدر :

رحلة التجاني ، نشر ح . ح . عبد الوهاب تونس 1958 ص 324 .

وهذا الشاعر ذكره ابن عذاري تحت اسم « محمّد البديل كاتب أبـي قضاعة » ونسب إليه ثلاثة أبيات مغالية في التشيّع لعبيد الله المهديّ عند حلولـه برقّادة :

« حَلَّ برَقَّـادَةَ الْمَسِـيح حَلَّ بهَا آدمٌ وَنُـوح
« حَلَّ بِهَا أحْمَدُ المصفَى حَلَّ بهَا الكَبْشُ وَالذَّبيح
« حَلَّ بِهَا اللّهُ ذُو المَعَالِي وَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ رِيحُ »
(مخلّع البسيط)

المصـــدر :

ابن عذاري : بيان .. ج 1 ص 160 .

ياقوت : معجم البلدان ، ج 3 ص 55 (رقّادة) نقل البيتين 1 و3 .

تبيين المعاني ... ص 817 ونسبهما زاهد علي إلى ابن هانىء وعزا النسبة إلى ياقوت .

ديوان ابن هانىء ، طبعة بولاق ، سنة 1857/1274 ص 26 — البيتان منسوبان إلى ابن هانىء أيضا .

12 ـ سعدون الوَرْجِيلِي

هذا الشاعر ذكر له القاضي النعمان والمقريزي أبياتا في مدح المهديّ . وعرّفه القاضي النعمان بـ« سعدون الورجيني ، وكان شاعرا يمدح بني الأغلب ويلي أعمالهم . » وذكر الدواداري قسما منها وسماه أيضا « الورجيلي » كما فعل المقريزي .

قفْ بِالمطيّ على مرابِع دُور لبِستْ معالِمُهُنّ ثوْبَ دُثُورِ
لعبتْ بها حتّى محتْ آثارَهَا ريحَانِ : رِيحُ صَبًا وَريحُ دَبُورِ
وَسَفيهةٍ هبّتْ تَصُدُّ عن النّوى وَيَدُ النّوى ملَكَتْ عِنانَ مسِيرِي
خافتْ عليّ منَ الخُطوبِ لأنني منْ قبلُ غِبْتُ فأبْتُ بعدَ دُهُورِ
5 ثمّ اجتمعنَا بعدَ ذاكَ فيالَهَا مأسُورَةً جُمِعَتْ علَى مأسورِ !
أعَنِ ابْنِ فاطمةَ تصُدّين امرءا بِنْتِ النّبِي وَعِتْرَةِ التّطْهِيرِ ؟
كُفِّي عن التّشْبيطِ إنّي زائِرٌ منْ أهلِ بَيْتِ الوَحيِ خيرَ مَزُورِ
هذَا أميرُ المؤْمنينَ تَضَعْضَعَتْ لِقُدُومِهِ أرْكانُ كلِّ أمِيرِ
هذا الأمامُ الفاطميُّ ، وَمَنْ بِهِ أمِنتْ مغاربُها مِنَ المحذُورِ
10 وَالشرْقُ ليسَ لِشامِهِ وَعِرَاقِهِ منْ مهرَبٍ من جيشِهِ المنْصُورِ
حتى يفوزَ منَ الخِلافَةِ بالمُنَى وَيُفازَ منْهُ بِعَدْلِهِ المنْشُورِ
يا منْ تَخيّرَ منْ خيارِ دُعاتِهِ أرْجاهُمُ لِلْعُسْرِ وَالميْسُورِ
حتَى استَمالَ إليه كلَّ قبيلَةٍ وَرَمَى إليْهِ قِيادَ كُلِّ عشُورِ
أشبهتَ موسى وَهوَ حيّتُكَ التي تُلْقَى فتلقفُ كُلَّ إفْكِ سَحورِ .

(كامل)

المصـــدر :

القاضي النعمان : افتتاح الدعوة تحقيق وداد القاضي ، بيروت 1970 ص 254 .

الدواداري : درّة ... ص 115 .

المقريزي : اتّعاظ الحنفاء نشر الشيّال القاهرة 1948 ص 106 .

التعليـــق :

الأبيات الأخيرة مدح للداعي الشيعي أبي عبد الله وكان حاضراً بالموكب ، والقصيدة أطول بكثير ، وإنّما اختار منها القاضي النعمان هذا المقدار القليل .

13 – خليل بن اسحاق

وقال خليل بن اسحاق لمّا بعثه المنصور لقتال أبي يزيد :

وَمَا وَدَّعْتُ خَيْرَ الخَلْقِ طُرًّا وَلاَ فَارَقْتُهُ عَنْ طِيبِ نَفْسِ
وَلَكِنِّي طَلَبْتُ بِهِ رِضَاهُ وَعَفْوَ اللهِ يَوْمَ حُلُولِ رَمْسِي
فَعَاشَ مُمَلَّكًا مَا لاَحَ نَجْمٌ عَلَى الثَّقَلَيْنِ مِنْ جِنٍّ وَإِنْسِ
(وافر)

المصدر :

المقريزي : اتّعاظ ... ص 128 .

التعليق :

هؤلاء الشعراء الثلاثة أقرب إلى ابن هانىء في التشيّع والتحزّب والانتصار للمذهب الاسماعيليّ من كلّ الذين ذكرناهم بمدحهم للفاطميّين ، فلا غرابة أن لا نجد لهم ذكرا الاّ عند المقريزيّ ، وميله إلى الفاطميّين معروف .

أمّا خليل بن اسحاق ، فيظهر أنّه كان قائدا وشاعرا . وقد ورد ذكره في سيرة الأستاذ جوذر كقائد وأمير على جزيرة صقلّية (1) .

(1) سيرة الأستاذ جوذر ص 71 (وانظر أيضا التنبيه عدد 7 في ذيل الكتاب) .

شعراء وصلتنا أسماؤهم ولم يصلنا شعرهم

14 — ابن الصيقل

ذكره المالكي في رياض النفوس (2) ضمن هذا الخبر : «... كان الحكم (المستنصر الأمويّ) يقول : «لست أشتهي من دولة الشويعيّ (المعزّ) الا أربعة : «أبو القاسم ابن أخت الغسّاني (وهو فقيه) ، وابن الصيقل الشاعر ، وابن الجزار الطبيب وابن قصطلة المعبّر (للرؤيا) «فأما أبو القاسم ابن أخت «الغسّاني ، وابن الصيقل ، فقد وصلا إليه ، وأقاما عنده حتى ماتا . وأمّا ابن قصطلة وابن الجزّار فلم يصلا إليه» .

من هؤلاء الأربعة نعرف الفقيه والطبيب . أما الشاعر والمعبر فلم نجد لهما ذكرا عند المالكي . وقد ذكر ابن الزبير في «صلة الصلة» فقيها من شاطبة يدعى «ابن الصيقل» وهو بعيد عن شاعرنا . ونفهم من خبر المالكي أنّ ابن الصيقل ، مثل الفزاري والورّاق ، كان أميل إلى أهل السنّة منه إلى الشيعة . فلذلك التحق بالدولة الأموية بالأندلس وآثر البقاء متغرّبا هناك .

15 — ابن القتّار

ورد ذكره غير ما مرّة في رياض النفوس . ويظهر من قولته للمنصور «أنا أشعر في مدحكم وسهل «(الورّاق) أشعر في هجوكم» أنّه كان مادحا لبني عبيد . ولم يصلنا شيء من شعره .

16 — ابن الرايس

ذكر هو الآخر في رياض النفوس وفي معالم الايمان (3) . وذكره ح . ح . عبد الوهاب في مجمله (4) مؤرّخا وفاته بسنة 955/344 ، ولا نعلم عنه شيئا غير هذا .

---

(2) ورقة 220 ب .
(3) ج 3 ص 68 .
(4) ص 88 .

خاتمـــة

هذا ما وصلنا إليه في استقرائنا للشعراء الذين عاصروا الفاطميّين بإفريقية فمدحوهم أو تحاملوا عليهم . وكان قصدنا الأوّل أن نحصر البحث في الشعراء الذين عاصروا حقّا ابن هانىء ، اذ هو شاعر الفاطميّين الرئيسيّ ، وهو محور بحثنا ، بيد أنّه تبيّن لنا أنّ عدد الشعراء الذين عاصروه وطرقوا مواضيعه زهيد . فلذلك رأينا أن نتوسّع إلى كلّ من قال شعرا في بني عبيد أثناء فترتهم المغربيّة الافريقيّة ، فكان القسم الأوفر ممن عرفناهم واطلعنا على آثارهم ، شعراء عاصروا المنصور فتعرّضوا للفتنة الخارجيّة . ولا ندّعي أن هؤلاء الشعراء الستّة عشرهم كلّ شعراء النصف الأوّل من القرن الرابع ، كما لا ندّعي أنّ هذه الأبيات الأربعمائة والخمسين تجمع كلّ شعر هؤلاء الذين ذكرناهم ، فلعلّ الأيّام تطالعنا بشعراء مجهولين وبآثار مخبّأة في بطون الكتب والمخطوطات ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

تونس 1973/5/4

محمّد اليعلاوي

شعراء افريقيون معاصرون للدولة الفاطمية (تابع)

بقلم : محمد اليعلاوي

كنا نشرنا بهذا العنوان في العدد العاشر (1973) من حوليات الجامعة التونسية مجموعة من القصائد والمقطوعات التي تتصل بالدولة الفاطمية في فترتها الافريقية وتحتوي على نحو أربعمائة وعشرين بيتا ؛ وكنّا جمعناها من مصادر مخطوطة كرياض النفوس للمالكي (ت 1061/453) أو مطبوعة كسيرة الاستاذ جوذر وزهر الآداب للحصري وأخبار ملوك بني عبيد لابن حمّاد وغيرها .

وكان قصدنا من لمّ شتات هذا الشعر أن نُلقيَ بعض الأضواء على الأحداث التي عرفتها بلادنا في هذه الفترة الشيعيّة الإسماعيليّة من تاريخها ، فجمعنا منه على السواء ما كان مدحا للفاطميين وتمجيدا ، وما كان هجوا لهم وتكفيرا .

ولهذا الغرض نفسه – مزيد التعرّف على تاريخ الدعوة الإسماعيلية بالمغرب ، ومقاومة أهله لدولة « المشارقة » الدخلاء – سعَيْنا ، على غرار ما فعلناه بكتاب القاضي النعمان ، « المجالس والمسايرات » (1) ، إلى تحقيق

(1) نشرته كلية الآداب ، تونس 1978 ، بتحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي .

السُّبُـع الخامس من كتـاب « عيـون الأخبـار » للداعي الفاطمي إدريس عماد الدين ، وهو الجزء الذي يؤرخ للخلفاء الثلاثة الأول ، المهدي فالقائم فالمنصور ، ويفصّل بالخصوص أحداث ثورة أبي يزيد الكبرى .

ولكنّ الكتاب نُشِر . نشره الدكتور مصطفى غالب في طبعة فظيعة لا تستحق اسم التحقيق من قريب ولا من بعيد ، وتحتاج إلى إصلاح في كل صفحة ، بل في كل سطر ، وإلى نشر حقيقيّ يضبط النص ويعرّف بالأعلام والمواقع ، ويساير الأحـداث والوقائـع ، ويوضّحُ عوض أن يزيد إبهاما وغموضا .

ولكن لا فائدة في التحسّر والتجنّي ، فالكتاب عند الناس ، منشورا في ثوب برّاق ؛ ولا يُمكننا أن نواصلَ العمل في تحقيق نصّ « حقّقه وكتب مقدمته الدكتور مصطفى غالب » ، الاسماعيليّ ابن الاسماعيليّين ، المستأثر بآثارهم ، الخازن لمخطوطاتهم ، المدلّ على «العامة» من الباحثين بعلاقاته الطائفيّة والتسهيلات المذهبية .

وتبقى النسخة المصوَّرة من مخطوطة المكتبة المحمدية الحمدانية التي أمدّنا بها ــ وله منا جزيل الشكر ــ الباحث الكبير الدكتور إحسان عباس ، مصدرا أساسيا لتحقيق هذا الشعر ، وضبط الظروف التي قيل فيها ، إذ لا فائدة في الكتاب المطبوع ، بالمقارنة مع المخطوطة ، إلا ترتيبه للأبيات على عمودين .

ونحن ، إذ نقصر همّنا اليوم ، على الشعر المنقول في هذا الجزء من الكتاب ، مما يتصل بالأئمّة الثلاثة المذكورين ــ وبعضه من نظمهم ــ وبالأحداث التي عاشوها أو واكبت فترة خلافتهم ، نضمّ مجموعة جديدة في ما يزيد على ثلاثمائة وسبعين بيتًا إلى المجموعة الأولى التي أشرنا إليها في بداية كلامنا ؛ هذا في انتظار أن يصدر السُّبُع السادس من كتاب الداعي دريس ــ وفيه تاريخ المعزّ لدين الله ، وشعر شعرائه المعروفين ، محمد بن

هانىء وعلي الإيادي وغيرهما — فعسى أن لا يكون « محقّقا » بالصفة التي ذهب ضحيّةً لها السّبُعان الرابع والخامس .

وتختلف مجموعتنا هذه عن المجموعة الأولى بأنّ أبياتها كلّها مناصرة للفاطمّيين. ولا غرابة في ذلك ما دام ناقلها هو الداعي إدريس المؤرخ لدولتهم .

مؤلف الكتـاب (2)

هو الداعي التاسع عشر في الفترة اليمنيّة ، إدريس بن الحسن بن عبد الله ابن محمد بن حاتم . تولّى الدعوة الاسماعيلية سنة 1428/832 إلى أن توفّيَ في 19 ذي القعدة 10/872 جوان 1468 . ذكر له الشيخ قطب الدين البرهانبوري — وهو من أهل القرن الثاني عشر هجري أي الثامن عشر ميلادي — في كتابه « منتزع الأخبار في أخبار الدعاة الأخيار » أحد عشر مصنفا ، في مقدمتها كتاب « زهر المعاني » ولا يزال مخطوطا ، وكتابه هذا « عيون الأخبار وفنون الآثار ، في ذكر النبي المختار ، ووصيّه علي بن أبي طالب قاتل الكفار ، وآلهما الأئمة الاطهار » ، الذي طبع منه الجزءان الرابع والخامس .

ينقسم الكتاب إلى سبعة أجزاء تنطلق مادتها من بدء الخليقة ، على عادة مؤرخي الاسلام ، وتنتهي بمقتل الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 1130/524 ، وببعض التفاصيل عن رجال الدعوة باليمن .

وفي خصوص الأئمة الفاطميين بالمغرب ، ينقل الداعي إدريس صراحة عن المصنفات الإسماعيلية مثل « استتار الإمام » لأحمد بن إبراهيم النيسابوري (3) و« سيرة جعفر بن علي الحاجب » لمحمد بن محمد اليماني (4)

---

(2) نقلا عن ايڤانوف : المرشد إلى الأدب الاسماعيلي — لندن 1933 ، ص 77 .

(3) و (4) : نشرهما ايڤانوف بمجلة كلية الآداب بالقاهرة ، المجلد 4 ، الجزء 2 ، ديسمبر 1936 ، ص 89 — 133 .

و« سيرة الأستاذ جوذر » لأبي علي منصور العزيزي (5) وبالخصوص « افتتاح الدعوة » (6) و« المجالس والمسايرات » للقاضي النعمان بن محمد . على أن أهمّ النقول وأكثرها إفادة هي من كتاب مفقود للقاضي النعمان ، لعله هو الكتاب الذي جمع فيه أخبار الدولة بأمر من المعز (7) ، واستقرى فيه بالخصوص تفاصيل ثورة أبي يزيد ، ممّا يحمل على دراسة هذا القسم من الجزء الخامس (ابتداء من ص 172 إلى آخر الكتاب) دراسة دقيقة مع مقارنة بما أثبته بقية المؤرخين في خصوص هذه الثورة ، ونرجو أن يتفرّغ بعض باحثينا إلى هذا العمل، فيسلّط أضواء جديدة على فترة غامضة من تاريخ المغرب الإسلامي .

ومنهجنا في هذا البحث كما في سابقه هو تقديم المقطوعة تقديما وجيزا ، وكثيرا ما نعمد إلى النقل من الكتاب مباشرة ، ثم عرضها محقّقة مع شيء من الشروح إذا لزم ذلك ، ثم التعليق عليها بما يوضّح ظروفها أو يعرّف بأصحابها . وجعلنا لكل مقطوعة رقما ترتيبياً ، ونختم الفصل بثبت في أسماء الشعراء وعدد الأبيات المنسوبة إليهم .

هذا وإن المقطوعة الأخيرة — رقم 34 — لم ننقلها من كتاب عيون الأخبار ، بل من اتعاظ الحنفاء للمقريزي . وقد كنّا أغفلناها حين نشرنا مجموعتنا الأولى .

---

(5) نشره محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة بالقاهرة سنة 1954 .
(6) نشرته وداد القاضي ببيروت سنة 1970 ونشره فرحات الدشراوي بتونس سنة 1975 .
(7) المجالس والمسايرات ، ص 117 .

1 — شعر من العهد الأغلبي يبشر بظهور الدعوة الشيعية

1 — « كان المهدي بالله هو الشمس التي ذكر رسول الله صلّى الله
« عليه وسلم أنها تطلع من المغرب على رأس الثلاثمائة من هجرته . وكذلك
« طلع عليه السلام في سنة سبع وتسعين ومائتين ، واستقر قراره في دار ملك
« المغرب على رأس الثلاثمائة .

« ومن قول النبي هذا ، قال **الفهري** في قصيدة له يبشّر بظهور المهدي
عليه السلام ، ودنوّ أوانه : (هزج)

(ألا يا شيعةَ الحق ، ذوي الإيمـان والبـرّ
أتتكُـم نُـصـرةُ الله على التخويف والزجـر
فلا تدعوا إلى الداعيـن أهلِ النُّكث والغدر
فلو قد فُقِد العاشـرُ ، أو زيد على العَشْر
5 لدارت عُصَبُ الصبـر على الدائر بالشـرّ)
فعند الستّ والتسعيـن قطع القول والعذر
لأمر ما يقول النـاسُ : بيعَ الـدُرُّ بالبَعر
وصار الجوهر المخزون عِلقا غيرَ ذي قَدر
يتيمٌ كان خلف البـاب ، فانقضّ على الوكر

المصـدر :

1) افتتاح الدعوة ص 34 من طبعة وداد القاضي ، وص 4 من طبعة فرحات الدشراوي ، وقد وردت فيه كامل المقطوعة بأبياتها التسعة .

2) عيـون الأخبـار ، ص 27 من المطبـوع ، وورقـة 12 وجه من مخطوطتنا ، ولم يورد منها إلا الأبيات الأربعة الأخيرة ، لأنّ قصده هو تنبؤ الشاعر بنجاح الدعوة سنة 908/296 .

التعليــق :

عبارة « يتيم خلف الباب » شرحها صاحب عيون الأخبار نقلا عن القاضي النعمان بأن الشاعر يعني المهدي الذي « مات أبوه وهو صغير » .

هذا ، وانّ البيت الرابع أولى بأن يشرحه القاضي النعمان لأن فيه تلميحا إلى تسلسل الأئمة من سلالة الحسين ، والمهدي عبد الله يكون هو الإمام العاشر بعد علي بن أبي طالب ، إذا أسقطنا إمامة الحسن بن علي .

أما الفهري الشاعر ، فقد افترض الدشراوي أنّه إبراهيم بن هرمة القرشي (ت 792/176) الشاعر المدني الذي انقطع إلى الطالبيّين ومدحهم ؛ ولما كان راوي هذا الشعر في الافتتاح هو أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب داعي اليمن (منصور اليمن الذي تولى الدعوة باليمن ابتداء من سنة 879/266) ، وعبارته هي : « فذكرت قول الفهري ... » ، فقد تكون نسبة الأبيات إلى ابن هرمة وجيهة . إلاّ أن ديوان ابن هرمة (8) يخلو من هذه المقطوعة .

2 — « ... ومن ذلك قول التونسي — وكان ممن يُعني بعلم الحدَثان — يخاطب إبراهيم بن أحمد (بن الأغلب) صاحب إفريقية ، وقد سأله أن يخبره ما عنده في أمر دولتهم وغاية ملكهم ، من قصيدة أولها : (طويل)

أقــول وأسلمــتُ القريــض لأهلـه
وعشــتُ زمانـا وهو خيــر مكاعـب (9)
أمِــن بعـد تسعيــن ، سنيــنَ أعُــدُّهـا
وأربعــة مــن بعــد ذاك رواتــبِ

(8) طبع طبعتين سنة 1966 بالنجف تحقيق محمد جبار المعيبد وبدمشق تحقيق محمد نفاع وحسن عطوان .

(9) مكاعب في المخطوط وفي المطبوع وفي الافتتاح طبعة الدشراوي . وأختارت وداد القاضي قراءة « مكاتب » ، ولا يتضح المعنى بهذه ولا بتلك .

أزاحـم أهـلَ الشعـر بالشعر راجـزا (10)
أبـى الله هـذا بعـد ان جُـبَّ غاربي ؟

ولكنّنـي أرجـو مـن اللّـه عفـوَه
بأوبـة مـأمـونِ السريـرة تائـب

5 وآمُـل غفـرانـا بفضـل تِـلاوة
أرَدّدُهَـا ليـلا بفـكـرة آئـب

صرفـت أمـوري للـذي أنا عبـده
إلاهـي ، إلاه العـرش مُعطـي الرغائب

فلسـت ، حياتـي ، سائـلا غيـر ذي العـلا
وإلاّ فجبّـت من يميني رواجبي (11)

ألا يـا أميـنَ اللّـه ، وابـنَ أمينـه
وعاشـرَ (12) سـادات الملـوك الأغالـب

وجـدتُ كتابـا قـد تقـادم عهـدُه
روايـةَ أشيـاخٍ كـرام المناسـب

10 روايـةَ وهـب عن سَطيـح ودنيـلٍ (13)
مشايـخ علـم صـادق غيـر كاذب

تَتَابـعُ رايـاتٌ من الشـرق سبعةٌ
إلى الغـرب ، سـودٌ خـافقـاتُ الذوائـب

---

(10) راجزا في مخطوطتنا ، ناجزا في المطبوع من العيون ومن الافتتاح .

(11) الرواجب : مفاصل أصول الاصابع .

(12) إبراهيم الثاني (ت 902/289) هو التاسع من الأمراء الأغالبة ، كما نبه الدشراوي ص 64 من الافتتاح . هذا وقد سقط هذا العجز من طبعة مصطفى غالب ، فتكرر العجز الموالي مرتين .

(13) سطيح بن ربيعة هو الكاهن الجاهلي المعروف .
أما دنيل فلعله صاحب بختنصر الذي تألب عليه الكهنة فرموه في « جب الأسود » فلم يصيبوه بسوء (الاسطورة في التوراة) .
وهنا أيضا سقط العجز في طبعة العيون فعوض بالعجز الموالي فتكرر مرتين .

يسير بها خُزْرُ العيون تراهمُ
بَهَالِيلَ شُمطًا ، مِن طوال الشوارب (14)

ويقول فيها :

ولاة بني العباس عشرون واليا
تدين لهم بالرغم أرض المغارب

وفي الست والتسعين تهبط راية
من الغرب في جمع كثير المراكب (15)

15 يمزّق أرضَ البربريّة جمعُهم
بخيلٍ كأمثال القطا المتسَارب

وتطلُع شمس اللّه من غرب أرضه (16)
فلا توبةَ تُرجى هناك لتائب

ويظهرُ من أبناء فاطمة امرؤٌ
تقيّ ، نقيّ العِرض جمُّ المواهب

سميُّ نبيّ اللّه (17) ، وابن وصيّة
وأكرمُ مولود وأشرفُ طالب

فيملأُ أرض اللّه عدلا ورحمة
بأيّام صدقٍ طيّباتِ المكاسب

20 وبالأعور الدجّال (18) ينهدُ جمعُه
سوى عُصبةٍ في باذخ الطود راتبِ

---

(14) في الطبعتين من الافتتاح : مباسمهم سمط . والبهلول هو السيد الجامع لكل فضل .

(15) في المطبوعات : كثيف المواكب .

(16) إشارة إلى الحديث المعروف عند الشيعة : تطلع الشمس من مغربها على راس الثلاثمائة من هجرتي . وهو غير معروف بهذا المعنى في الصحاح والمسانيد السنية . انظر المجالس والمسايرات ص 477 ، تنبيه 3 .

(17) القائم ، واسمه محمد بن عبد الله .

(18) الاعور الدجال هو أبو يزيد النكاري .

ويقتله من بعد ذاك ابنُ مريم (19)
بقــدرة ربّ مـا له مــن مـُغـالب

ومـن بعدها موتُ ابن مريـم مفضياً
إلـى اللّــه في حكـم مـن اللّه واجب

المصــدر :

1) افتتاح الدعوة : بيروت ، ص 84 ، تونس ، ص 63 .

2) عيون الأخبار ص 28 من المطبوع ، وورقة 12 ظهر من مخطوطنا .

التعليــق :

لم يُعرّف القاضي النعمان ولا الداعي إدريس هذا الشاعر التونسي ، وإنما يضيف صاحب عيون الأخبار : «وهـذا التونسي شيـخ مـن قريـة **الخربتين**»، وهي غير معروفة . ولا نخاله هو علي الإيادي التونسي الذي توفّي بمصر بعد سنة 973/362 ، لأن صاحب هذه القصيدة يشير في البيت الثاني إلى عمره : 94 سنة في عام 289 ، ولا يعقل أن يكون عمّر 167 عاما .

3 ــ «ومن هذا المعنى قول **ابن عقبة** : (سريع)

قد قلت لمّا طار عني الكرى — حتى متى يا ليل لا تُصبِحُ ؟
عذّبني الوجد وفَقْدُ الكرى — كلاهما أقسمَ لا يَبْـرَح
وكيف لا يحزن من لا يرى — بأنّـه يبلغ يـا مسطـح ؟
دهـراً يرى فيه إمـامَ الهـدى — بالله للمغرب يستفتـح (20)
ويبتني البيضـاءَ في لجّـة — خضراءَ فيها نُونُها يسبح
ينجو من الأهـوال سكّانهـا — والأرض منهـا كلّها تفتـح

(19) ابن مريم هو اسماعيل المنصور .
(20) ورد هذا البيت بعد البيت الموالي له ، والتصحيح عن الافتتاح ، وبحسب السياق أيضا .

لو مُدَّ من عمري إلى وقته لكنتُ في القرن الذي يُفلِح
هيهات ماذا العمرُ ممّا أرى فيما أرى الموتَ به يسمَحُ !؟

فعنى بـ« البيضاء » المهديّة التي ابتناها المهدي (عم) على شاطىء البحر .
وقوله : ينجو من الأهوال سكّانها، فكذلك نجَوْا من أهوال فتنة الدّجّال » .

المصدر :

عيون الأخبار ، المطبوع ص 29 ، المخطوطة ورقة 13 ظهر .
افتتاح الدعوة ، بيروت ص 86 ، تونس ص 67 .

التعليق :

لا نعرف ابن عقبة هذا ، وقد اختلف اسمه بين « ابن عقب » و« الأعقب » في الافتتاح. ويظنّ الدشراوي أنه يحيى بن أبي عقب الليثي المذكور في الأغاني وقد ذكر ابن خلدون في الفصل الهامّ الذي عرض فيه للمنجّمين والكهنة وعلم الحدثان والملاحم (المقدّمة ، فصل في ابتداء الدول والامم ...) ملاحم منسوبة إلى ابن عقب وقال: « وليس في شيء منها دليل على الصحة » (ص 381) فلعلّ ابن عقب كاهن أسطوريّ مثل « مسطح » أو سطيح الذي يشير إليه البيت الثالث .

وقد أورد له القاضي النعمان في الافتتاح عقب هذه المقطوعة ، أرجوزة فيها أيضا تنبّؤ بقيام الدولة الفاطميّة يقول فيها :

« في الستّ والتسعين يأتيك العجب بعد كمال المائتين من رجب
« ... تنقلب الدولة فيما تنقلب مهديّة في نصّ أسفار الكتب
عن دانيال وسطيح في العرب » (21)

---

(21) افتتاح ، بيروت ص 76 ، تونس ص 68 ، ولم ينقلها صاحب العيون .

4 – « ومن ذلك قول **محمد بن رمضان** – وكان من الشيعة – يرثي « أهله، وكان إبراهيم بن الأغلب أوقع بهم، وقتل ألفا منهم « غدرا، وذكر دنوّ الفرج بقيام المهديّ ... (بسيط)

جلّ المصاب لئن كان الذي ذكروا
ممّا أتتنا به الأنباءُ والخبرُ
عن ألف أرْوَعَ كالآساد قد قُتلوا
بساعة في سوادِ الليل إذ غُدِروا
لو كان من بيّت الآسادَ أيقظَهُمْ
حلّت به منهُم الأحداث والغِير
قل لابن أحمد إبراهيم (22) مألُكَةً
عن الخير بما يأتي وما يذر
5 عن المشرّد في حبّ الأئمة من
آل النبيّ، وخيرِ الناس إذ ذكروا
اعلم بأنّ شرار الناس أطولُهم
يداً بمكروهِ غدْرٍ إن هُمُ قدَروا
لاسيّما الجارُ والضيفُ القريبُ، ومَن
أعطَوْه ذمّتهم من قبل ما حقَروا
فما اعتذارك من عار ومنقَصَة
أتيتَها عامدا، إنْ قُمتَ تعتذر ؟
جرّعت ضيفَك كأسًا أنت شاربُها
عمّا قليلٍ وأمرُ الله يُنتظَر

---

(22) إبراهيم بن أحمد أو إبراهيم الثاني (261/875–289/902) .

10 فدولة القائم المهديّ قدْ أزفت
أيّامُها في الذي أنبَا به الأثَرُ

عن النبيّ ، وفيها قطع دولتكم
يا آلَ أغلَب فارجُوا ذاك وانتظروا

وقطع أمرِ بني العبّاس بعدكُمُ
وقطع أمر بني مروان إذ بَطِروا

المصدر :

عيون الاخبار ، المطبوع ص 30 ، المخطوط ورقة 14 وجه .

افتتاح الدعوة ، بيروت ص 89 ، تونس ص 72 .

التعليق :

محمد بن رمضان « شاعر من أهل نفطة ، كان شيعيّا » ، حسب عبارة الافتتاح ، وكان يتنبّأ بسقوط الدولة الأغلبيّة ، واحتمى ببني مالك ببلزمة (وتقع شمالي الأوراس بين باغاية وطبنة) . وكان الأمير الأغلبيّ قد غدر ببني مالك لأنّهم أجاروا أحد أعدائه ، فاستدرجهم وأضافهم برقّادة وقتلهم وهم آمنون . انظر الخبر مفصّلا في الافتتاح ، وكذلك في البيان المغرب لابن عذاري ج 1 ص 123 تحت سنة 893/280 .

فهذا شاعر إفريقيّ ، يتنبّأ بقيام الدولة الفاطميّة .

5 — « وقال أيضا محمد بن رمضان من قصيدة له : (طويل)

سلا ظبية القنّاص أينَ احتلالها
فقد هاجني تقتيرها وامتذالها (23)

(23) الامتذال : الفتور والضجر .

لعلّ التي عنها تفرّق أهلُهَا
فبادت مغانيهَا وطال اختيالها

فعدّ عن الدار التي بان أهلها
وعن كيف من بعد البلى صار حالُها

أرقت لها من بعد أن نام إنسها
حناط ، فما رام الظّباءَ جمالها (24)

5 فهذا أوان الحقّ قد حان حينه
ودولة آل البغي آن زوالهَا

(كأنّي بشمس الأرض قد طلعت لنا
من الغرب مقرونا إليهَا هلالُها

فيملأ أرض الله قسطا بعَدْله
بما ضمّ منها سهلُهَا وجبالُها

وآمن فيها ما أخاف وأتّقي
وأظفر بالزّلفى به وأنالها)

« فشمس الأرض عنى بها المهديّ والهلال وليّ عهده القائم من بعده » .

المصدر :

عيون الأخبار ، المطبوع ص 30 ، المخطوط ورقة 14 وجه ، ولم يورد إلا الأبيات الثلاثة الأخيرة .

افتتاح الدعوة ، بيروت ص 90 ، تونس ص 74 ، مع اختلاف بين الطبعتين في القراءة وانصراف عن الشرح والتأويل ، خصوصا في طبعة بيروت .

---

(24) قدم البيت الرابع على الثالث في طبعتي الافتتاح ، وقد برره الدشراوي بمقتضيات السياق ، ولا نشاطره لأن البيت الثالث « فعد ... » خبر « لعل التي ... » على شرط أن يصوب . فلا معنى لـ« فعد عن الدار » . وربما حرف عن « تجيب » أو « تقول » وما شاكلها .
هذا ، وفي عجز البيت الرابع اشكال نبه إليه الدشراوي وسكتت عنه وداد القاضي .

6 – بيت يستشهد به منصور اليمن وهو الحسن بن فرح بن حوشب ابن زادان الكوفيّ ، «وكان رضي الله عنه إذا قيل له : أ أنت المنصور المبشّر به ؟ يقول: ان المنصور من آل محمد»، «أما سمعتم قول الشاعر :

(طويل)

إذا ظهـر المنصور من آل أحمد فقل لبني العباس: قوموا على رجل! »

« قيل : وكذلك كان الأمر لمّا قام المنصور بالله إسماعيل .. اختلّت « دولة بني العبّاس ... فصاروا بين مقتول ومخلوع ومصفّد في السجن .... »

المصـدر :

عيون الأخبار ، المطبوع ص 31 ، المخطوط 15 وجه .
افتتاح الدعوة ، بيروت ص 33 ، تونس ، ص 3 .

التعليـق :

لم يُعرف قائلُ هذا البيت .

2 — خلافة المهديّ (296/908 — 322/933)

7 — ارتجّت إفريقيّة وحتى كتامة بعد مقتل أبي عبد الله الداعي (سنة 298/910) ، وكان من جملة الثائرين « بنو مَاوَطَنَّتي من أورسّة » فهزمهم القائم وليّ العهد وقتل « مهديَّهم » ، فهنّأه المهديّ أبوه بهذه الأبيات : (وافر)

أتصبح في كتامةَ ذا انفراد تقابلُها قياما في قيام
إذا ما وقعةٌ دارت رَحاها بجزم مفاصلٍ وفِلاق هام
أتت أخرى تَطُمُّ وتعتليها يشيب لهولها رأسُ الغلام
وألتذّ الحياة بخفضِ عيش معاذ الله والشهرِ الحرام !
5 ولكنّ التجلّدَ لي خَدينٌ فسنّي ضاحك والقلبُ دام
عسى الرحمانُ يجمعُنا وشيكا وقد تمّت لنا رُتَبُ الكرام
فأنقع غُلّتي بك واشتياقي إليك بحمد ذي المننِ الجسام

المصـدر :

عيون ... المطبوع ، ص 124 ، المخطوط 87 وجه .

وقد تعرّض الافتتاح إلى الحادث ولم يذكر الشعر .

التعليـق :

كان الخلفاء الفاطميون ينظمون الشعر ، وسيأتي شعر للقائم والمنصور . وقد روت كتب التراجم أبياتا للمعزّ . ومعروف أن تميم بن المعزّ كان شاعرا رقيقا ، وله ديوان مطبوع .

أما شعر المهديّ هذا ، فهو ضعيف لا رونق فيه ولا طرافة .

8 — شعر للقائم وجّهه ضمن كتاب إلى أبيه المهديّ بعد انتصاره على أهل مصر في حملة سنة 302/914 . (خفيف)

أنا سيف الإلاه وابنُ رسول الـــــــله قطب الهدى وللناس قِبلَة
وإذا ما الغمامُ أسجَمَ جدْوَا ... هُ يكون الإمام للناس مِثلَه
يقصر القتل دون بغداد حتى ... يُظهرَ اللّهُ بالعراقَيْن عدلَه
يا إمامَ الهدى ومن طيّب اللـــــهُ له فرعَه وطيّب أصلَه
5 تفخر الأرض حين تعلو ثراها ... ثمّ تغدو حزُونُها وهي سهلة
يا ابنَ من أسْدَلَت عليه ستور الـــــوحي أثوابَها ولم تكْسِ مثله
بك ظلّ الفخارُ يفخَر والجو ... دُ ، وألبَسْتَني من الفخر حلّة
ثمّ أنهَضْتَنِي لمصرَ وشامٍ ... وخراسانَ والعِرَاقَيْن جُملة
فأنا سيفك الذي يَفلِقُ الها ... مَ فلا نبوةٌ له إن تسلّه
10 يَفرَقُ الغربُ والمشارقُ منه ... وتكِلّ الجموع من أن تَفُلَّه
كم مطيعٍ قد كان في طَوْدِ عِزٍّ ... ثمّ لمّا عصاك بدّدْتُ شمله
وكفورٍ مُناصِبٍ ذي عِنادٍ ... بك أرديتُه وأفنيتُ غلّه
وأنا سهمُك السريعُ إليهم ... مدركٌ للعدوّ من غير مُهلة
لا أرى هائبا لسهلٍ ووعرٍ ... ولجيشٍ في حين ألقاه كلّه
15 فبحسن اليقين والحزم والعز ... م ، كثيرُ العدوّ عنديَ قِلّة
فانتظر يا خليفةَ اللّه ما قد ... وعَدَ اللّهُ فيك من قبلُ رُسْلَه
من فتوح تلقاك بالعزّ والنصـــــرِ لدى النيلِ والفُراتِ ودِجلَة
وكتابي إليك من غايةِ البعـــــد ووقتِ الرحيل أيمَنَ رِحلة

المصــدر :

عيون ... المطبوع ص 128 ، المخطوط 90 ظهر .

التعليــق :

هذا الشعر أيضا بارد خلو من كل رونق ، ولعل ضعفه زهّد فيه القاضي النعمان فلم يثبته في الافتتاح .

9 – قصيدة للقائم وليّ العهد بعد ظفره ببني تبادلت من قبائل تاهرت في حملته المغربيّة سنة 928/316 . (طويل)

سـلام على آل النبـيّ ورهطـه وشيعتـه أهلِ النُّهى والفضائِلِ
تحيَّةَ من أمسى بتاهِرْتَ قائمًا بحقّهِمُ بين الملا والقبائـل
قبائل من تَيْمٍ وقيسٍ وخِندفٍ ومن يَمَنٍ في عزّها المتطاول
ومن كلّ حيّ قد أتانا زعيمُهم وفارسُهم عند اختلاف الذوابل
5 وفتيانِ صدقٍ من ذُؤابة هاشمٍ أتَوْني ببيضٍ مُرهفاتٍ قواصل
يقدّون هامات العدى دون حقّهم ويحمون دينَ الله فِعلَ الأوائل
أنا ابن رسول الله جدّي وجدّهم إذا ذكر الأقوام عند التفاضل
ومفخَرِنا العالي على كلّ مفخرٍ عليه سلامٌ بالضحى والأصائل
وجبريـل منّا حين قمنا وعُصبةٌ إلى الله ندعو عند ذكر التباهل(25)
10 وما كان من مجد وفخر فإنّنا حويناه قَسْرًا بالقنا والمناصِل
أنا ابن رسول الله والبيت والصفي أنا ابن عليّ ذي التقى والفضائل
وفاطمةَ الزهراء أمّي ومَنْ بها سموتُ إلى العلياء أعلى المنازل
وقد قمتُ أدعو الناس حقا إلى الذي يُنجّيهُمُ من كلّ إفكٍ وباطل
إلى منهلٍ فيه الهدى وشرائعٍ أقيمَ بها من دينهم كلُّ مائل
15 فإن يستقيموا أستقِمْ لصلاحهم وإن يعدِلوا عنّي فلستُ بعادل
عمرتُ بلادَ الغرب بعد فساده وطهّرتُه من كل غاو وجاهل
فلم يبق في سهل من الغرب فاسق وفي الوعر، إلاّ في أسًى وبلابل
ففرّ لكي ينجو – وهيهات! – خلفه قبائل تَهْوي كالليوث البواسل
كما فرّ ذاك الأغلبيُّ وقد رأى مواردَ موت عاجل غير آجل(25م)

---

(25) إشارة إلى حديث المباهلة مع نصارى نجران المعروف في سيرة الرسول (ص) .
(25م) الاغلبي الهارب هو زيادة الله الثالث بعد هزيمة جيوشه بالاربص . وخبر الوقعة والهروب مفصل في الافتتاح ، طبعة تونس ص 234 الى ص 269 .

20 فمرّ يحثّ الركض في كل مهمَه — وخلّى لنا عن داره والحلائل

وعن كل خوْد ذاتِ حسن وبهجة — وكلّ جواد في السوابق صاهل

فيا شيعةَ الحقّ الذين نحبُّهُمْ — وحُبّهُمُ فينا كثيرُ التّواصل

أما حان أن تُزجُوا إليّ مطيَّكم — وتأتوا سِراعا بين حافٍ وناعل ؟

فتحظَوْن عندي بالذي تأمُلُونه — لأحميَكُم من كلّ خوف وهائل

25 إذا ما سمعتم داعيَ الحق فانفروا — إليّ سراعا كانقضاض الأجادل

فقد أزمعَتْ خيلي إليكم سريعةً — تجوب بلادَ الله ذات المراحل

إلى أرض مصرٍ والعراق وبعدها — فبغدادُ همّي من جميع المنازل

فإنّ بها جورا شديدا وفتنةً — وفيها أناسٌ كالسّوام الهوامل

يُعادُوننا ظُلما ويهوَوْنَ قتلَنا — وكم جرّعونا من مرارة ثاكل

30 فسيري على اسم الله خيلي ، وشمّري — إلى بابلٍ حتّى تحلّي ببابلِ

إذا ما حللناها وبالله عِصمتي — فإنّ بها يوما شديدَ الزلازل

ويومٍ لنا في الرقّتيْن وبالس (26) — يكونُ لهم فيها امتياجُ التلائل

فَنشفي نفوساً من لذيذ دمائهم — ونُلحقُهُم فيها بكلّ الطوائل

إذا أجمعوا من كل غابٍ وأقبلوا — على الفَوْر من شاطي الفرات المقابل

35 ذكرتُ حُسيناً فاستهلّت مدامعي — وقلت : فإنّي لستُ أنسى أوائلي

فأقتل منهم كلَّ رأس وتابعٍ — وأتركُهم صرعى بمُلقى الجنادل

وتسري خيولي من ورا النيل تبتغي — عِدى الدين حتى تَستقِرّ بكابل

ولو أنّني صنّفتُ كلّ وقائعي — لطال بها شرحي وطالت رسائلي

وكم بدمشق من صريع مجندل — ومن ثاكل باكٍ وجمعِ أرامل

40 وحمص وسلم والثغورِ ومَن بها — إلى نجدِ أرْمينَ وأهلِ المعاقل

كيومٍ بمصرٍ لا ينادي وليده — إذا أزمعتْ خيلي وجاءت جحافلي

(26) الرقتان مدينتان بالعراق منهما الرقة المعروفة على الفرات . أما بالس فهي أنقاض تقع اليوم بسوريا على الفرات كذلك .

وثـارت إلينا عـُصبـةٌ خـَزَرِيـّـة وقومٌ من الأخلاط أهلُ تخاذل
فمن كانفي سلمي ففي الأمن سادرٌ ومرمى المـُعادي في جميع المقاتل

المصـــدر :

عيون ، المطبوع ص 148 ، المخطوط 107 وجه .

التعليـــق :

هذه المطوّلة لا قيمة لها إلاّ من وجهة تاريخية : فهي دليل على مطامح الفاطميين في اكتساح كامل المشرق ، والاطاحة بدولة العباسيين ، تبعـا لمعتقدهم بأنهم يرثون الأرض كلّها .

10 – شعر خليل بن إسحاق التميميّ ، وهو أحد القوّاد المعروفين ، وأخوه يعقوب بن اسحاق من الدعاة الذين اضطهدهم بنو العبّاس فسجن ببغداد مدة أربعة عشر عاما ، وفرّ إلى المغرب عند هلاك المقتدر العباسي فوصل إلى المهدية سنة 932/321 بعد مغامرات أسطوريّة .

يقول صاحب العيون : « وكان ليعقوب وأخيه خليل بن إسحاق منزلة جليلة عند المهديّ والقائم (عم) » .

واستعمل القائم خليل بن اسحاق على صقلّية إبّان ثورة أهل جرجنت على أميرهم سالم بن راشد (انظر ابن الأثير ، ج 6 ، ص 261 ، تحت سنة 936/325) فلم يخمد الثورة – بعد ابتنائه حصن الخالصة – الاّ سنة 940/329 . هذا وسيكون لخليل بن إسحاق أخبار مع أبي يزيد وتخاذل غريب في مقاومته إلى أن ظفر به صاحب الحمار فقلته شرّ قتلة .

ويتضارب صاحب العيون في إيراد اسمه ، فتارة يسمّيه : خليل بن عدنان بن يعقوب ، وتارة خليل بن إسحاق .

وأول شعر أورده له كان توسّلا إلى المهديّ كي يأذن له بالدخول إليه ليعوده في مرضه الذي أودى بحياته سنة 322/933 .

« ... ومنع خليل بن عدنان بن يعقوب من الدخول معهم ، وكان شاعرا بليغا ، فكتب إلى أمير المؤمنين (عم) بهذه الأبيات : (طويل)

حلفت ، وإن قلتُ الذي ليس في قلبي فلا غفر الله المُهيمنُ لي ذنْبي
لأنتَ ، أميرَ المؤمنين ، على الظمأ أحبُّ إلى قلبي من البارد العذب
ووالله ما أدري إذا غبتَ ساعة ، ودادا وشوقا ، أين عقلي ولا لبّي
لأنّك يا خيرَ البريّة كلّها إمامي الذي أرجو به الفوز من كربي
5 أتيتَ ببرهان من الله واضح وفسّرتَ ما استعمى علينا من الكتب
فأصبح دينُ الله بعدَ دروسه جديدا كما أنبا به جدُّك المنبي
وقد سعِد الأشياخُ منك بنظرة وفازوا بها دوني فأوجعني قلبي
فدمتَ على الأيام في كلّ نعمة مليكًا على أهل المشارق والغرب

« فلما انتهت الأبيات إلى المهديّ سلام الله عليه ، أمر بدخوله من ساعته ... » .

المصـدر :

عيون ... المطبوع ص 155 ، المخطوط 113 ظهر .

التعليـق :

سيأتي لخليل بن إسحاق أحسن من هذا . وانّ هذه « المراسلات » الشعرية صورة جديدة للأئمّة تقرّبهم من بقية الملوك ذوي البلاطات العامرة ، وتخفّف من مسحة الوقار والتقشّف التي يسبغها عليهم مؤرخو الدولة وعامّة مؤلّفي الشيعة .

وأول شعر أورده له كان توسّلا إلى المهديّ كي يأذن له بالدخول إليه ليعوده في مرضه الذي أودى بحياته سنة 933/322 .

« ... ومنع خليل بن عدنان بن يعقوب من الدخول معهم ، وكان شاعرا بليغا ، فكتب إلى أمير المؤمنين (عم) بهذه الأبيات : (طويل)

حلفت ، وإن قلتُ الذي ليس في قلبي فلا غفر الله المُهيمِنُ لي ذنْبي
لأنتَ ، أميرَ المؤمنين ، على الظمأ أحبُّ إلى قلبي من البارد العذب
ووالله ما أدري إذا غبتَ ساعة ، ودادا وشوقا ، أين عقلي ولا لبّي
لأنّك يا خيرَ البريّة كلّها إمامي الذي أرجو به الفوز من كربي
5 أتيتَ ببرهانٍ من الله واضحٍ وفسّرتَ ما استعمى علينا من الكتب
فأصبح دينُ الله بعدَ دروسه جديدا كما أنبا به جدُّك المنبي
وقد سعِد الأشياخُ منك بنظرة وفازوا بها دوني فأوجعني قلبي
فدمتَ على الأيام في كلّ نعمة مليكًا على أهل المشارق والغرب

« فلما انتهت الأبيات إلى المهديّ سلام الله عليه ، أمر بدخوله من ساعته ... » .

المصدر :

عيون ... المطبوع ص 155 ، المخطوط 113 ظهر .

التعليق :

سيأتي لخليل بن إسحاق أحسن من هذا . وانّ هذه « المراسلات » الشعرية صورة جديدة للأئمّة تقرّبهم من بقية الملوك ذوي البلاطات العامرة ، وتخفّف من مسحة الوقار والتقشّف التي يسبغها عليهم مؤرخو الدولة وعامّة مؤلّفي الشيعة .

11 — مرثية **عثمان بن سعيد الصيقل** « من أهل القيروان » للمهدي ، « وكانت وفاته بالمهدية في ليلة الثلاثاء للنصف من ربيع الأول سنة 933/322 ، وعمـره ثـلاث وستـون سنة ، لأنّ مـولـده كان في سنة ستين ومائتين : (متقارب)

وَهَتْ مِـررُ الصبر فانحلّـتِ   ورثّت عُـرى الحزم فاجتثّتِ
وأيُّ سبيـل إلى سلـــوة   وأوعيـةُ الدمـع قـد فضّـت ؟
وكيف العـزاء وقـد خُـدّدت   خدودُ الخـرائـد واربَـدّت ؟
جنـودُ التجلّد قـد ولّــتِ   وألويـةُ الوجد قـد صُفّـت
5 وداهيــة قـد أتـت فَجـأةً   فمنهـا المسامعُ قـد سُكّت
ألـمّتْ فلـم أر لـي مذهبـا   كأنّ المسالكَ قد سُـدّت
فأومأتُ أرمُق نحـو السمـا   وأرنـو إليها هـلِ انشقّـت
ألا ليتَ شعري أهَلْ مَيّـزتْ   أكفُّ المنيّـة مَـن بـزّت ؟
وهل علمَت من رمَتْـه الخطوبُ   وهل درتِ الأرض من ضمّت؟
10 إمامي الذي اخترمَتْـه المنـو   ن ، لو قد ترى أنه ، استحيت (27)
فليتَ الحـوادث لـم تخترمْـه   وليت يـدَ الدهـر قد شُلّـت
وقائلـة إذ رأت عَـبـرتـي   سِجامـا على الخـدّ قد سحّت
جزعتَ وقـد كنتَ جَلْدا عـلى   صروف الخُطـوب إذا كـرّت
وكيف العـزاءُ ولـم تدرِ مـا   تضمّـنَ قلبي ومـا قَضّتِ ؟
15 لأيّـة أحـدوثـة أسعـدَت   شؤونُ جفـونك فانهلّت ؟
أكـوّرت الشمسُ أم زلـزلت   جبـال البسيطـة أم دكّـت ؟
فقلت لها : الخطب فوق الـذي   ظننتِ وأضعافـه فاصمتي
فلا غـرو أن سَفَحَتْ عبرتي   ولا عذر إن لم تفِضْ مهجتي
ثوى علَم الأرض فارتـجّـت   ومالت من الوجـد فانهدّت
20 وكادت تـزلـزل بالراسيـات   لإحدى الكبائرِ إذ حلّت

---

(27) لو قد ترى أنه : انه هو ، أي المهدي ، وهو تركيب غريب عن العربية .

فلمّا تجلّى إمامُ الهدى عليه السلام لها ، قرّت
ولو لم يسُسها بتدبيره أبو القاسم المصطفى ، خرّت
وألبست الأرضُ جلبابها لفقد الخليفة فاسودّت
ولمّا بدا القائمُ المرتضى وقابَلَها نورُه ، ابيضّت
25 وأقسَمتِ الريح إذ بان مَن تُباريه بالجود : لا هبّتِ
فلمّا سَرَتْ نفحاتُ الإما م واستنشقت عَرفَهُ حنّت
فأزمعتِ المزنُ إن غابَ مَن له ينزل الغيثُ : لا درّت !
فلمّا رأت سَيْبَ كفّ الإما م لم تتمالك بأن أرْوَتِ
فأولع بالجوّ إظلامُهُ وأخفقت الأرض فاغبرّت
30 وذابت نفوس الورى رقّةً لفرط الرزيّة فاعتلّت
فلولا الإمام وإنعاشُه قلوبَ الرعيّة لانفتّت
فيا حُجّة اللّه في أرضه عزاؤك عنها وإن جلّت
لِيَهْنِنَا الخلافةَ ما أحرزت من المجد ، والشرَف المُصْلَتِ

المصدر :

عيون ... المطبوع ، ص 155 ، المخطوط 114 وجه .

التعليق :

لا نعرف عن ابن الصيقل إلا ما ذكره الصفدي في الوافي (28) فقال :
« عثمان بن سعد أبو سعيد بن الصيقل . كان أبوه سعد مولى الأمير
« الاغلبيّ أبي الغرانيق . نشأ مع أبيه في عمل السيوف وهو مع ذلك
« يحاول قراءة الكتب ، ثم صحب أهل الأدب والعلم ...

« وقصد الحكم بن عبد الرحمان (الناصر) — وهو وليّ عهد — فأكرم مثواه » . وقد قال المالكي أيضا إن ابن الصيقل الشاعر التحق ببلاط الحكم المستنصر بالأندلس .

---

(28) الوافي بالوفيات مخطوط اسطنبول رقم 565 ، مجلد 20 ورقة 38 ظهر .

3 ــ خلافة القائم (322/933 ــ 334/945)

12 ــ « شعر لخليل (بن عدنان) بن إسحاق التميمي لمّا أخرجه القائم إلى القيروان « في وجوه العبيد والجند » ؛ قال يودّعه : (وافر)

وما ودّعت خير الناس طـرّا ولا فارقتـه عن طيب نفس ...
... فعاش مملّكـا ما لاح نجم على الثقلين من جـنّ وأنس ...

المصـــدر :

عيون ، المطبوع ص 182 ، المخطوط 131 ظهر ، وزاد البيت الرابع على ما نقله المقريزي في الاتّعاظ . (انظر الحوليّات ، 1973 ص 168) .

13 ــ **بيتان لخليل بن إسحاق** من « أول شعره الذي عارض فيه مروان ابن أبي حفصة » : (كامل)

قف بالمنـازل واسألـن أطلالهـا ماذا يضرّك إن أردت سؤالـها ؟
هل أنت أوّل من بكـى في دمنـة درست وغيّرت الحوادثُ حالها ؟

المصـــدر :

عيون ... المطبوع ، ص 191 ، المخطوط 139 ظهر .

التعليـــق :

أورد الداعي إدريس هذين البيتين في مساق الاستدلال على جلَد خليل ابن إسحاق عندما أمر أبو يزيد بقتله في صفر 333/944 .

14 ــ « ... وكان **خليل (بن إسحاق)** رحمة الله ورضوانه عليه ، شاعرا بليغا ، وقد ذكرنا من شعره : (كامل)

ذهبت أكاليلُ الوَسامـــةْ وابيضّ مُسْودُّ الغمامـةْ
وجفـاك مـــن عذّبْتَـــه وأطلتَ من شوقٍ غرامَـــه

والغانياتُ إذا رأينَ الرأسَ أصبح كالثغامة
أعرَضْنَ إعراضَ الجَموح إذا أبَحْتَ له لِجامه
5 من وَدَّنِي فمودَّتِي وقفٌ عليه إلى القيامة
ومن انثنى عنّي دعوتُ له المهيمنَ بالسلامة
لا أحمِلُ الحقد المقيمَ على الصديق ولا الملامة
وإذا تعرّض جاهلٌ أو ظالمٌ منّي ظلامة
طوّقتُهَا عن قدرة في جيده طوقَ الحمامة
10 ولقد ركبتُ الخيل تحمِل شِكّتي مثلَ النعامة
ونصرتُ آل محمّد وأذقتُ شانئَهُم حِمامه
والخيلُ تعلم أنني في الحرب أصدقُهَا شَهامة
وأعزُّهَا نفسا وأكرمُهَا وأكثرُهَا صَرامة
ولقد أبيت مع الفتاة كأنّها شمسُ الغمامة
15 في ريقها ولَحاظها طُرَف الفواكه والمدامة
لا والذي خصّ الخليفة بالخلافة والإمامة
وحباه بالنبإ العظيم وبالفضيلة والكرامة
ما خنتُ عهدا للصديق ولا رجعت له ندامة
ولقد وفَيْتُ لمن هوِيتُ كما وفَى كعبُ بن مامة (29)
20 لا خير في الدنيا لمن لا يرتجي دار المقامة

المصدر : عيون . ط 192 ، خ 140 و.

15 – « **ولخليل بن اسحاق** يخاطب الامام (عم) ويذكر له الكتّاب واقتطاعهم الأموال .. (كامل)

اللّه يعلم يا خليفةَ ربّنا وابنَ الخلائف أنّني لك ناصح
فإذا نصحتُك يا ابنَ بنت محمّد فالحظُّ لي وأنا السعيدُ الرابح

---

(29) كعب بن مامة : أحد أجواد العرب .

والغانياتُ إذا رأينَ الرأسَ أصبح كالثغامة
أعرَضْنَ إعراضَ الجَموح إذا أبَحْتَ له لِجامه
5 من وَدّني فمودّتي وقفٌ عليه إلى القيامة
ومن انثنى عنّي دعوتُ له المهيمنَ بالسلامة
لا أحمِلُ الحقدَ المقيمَ على الصديق ولا الملامة
وإذا تعرّض جاهلٌ أو ظالمٌ منّي ظلامة
طوّقتُهَا عن قدرة في جيده طوقَ الحمامة
10 ولقد ركبتُ الخيل تحمِل شِكّتي مثلَ النعامة
ونصرتُ آل محمّد وأذقتُ شانئَهُم حِمامه
والخيلُ تعلم أنني في الحرب أصدقُهَا شَهامة
وأعزُّهَا نفسا وأكرمُهَا وأكثرُهَا صَرامة
ولقد أبيت مع الفتاة كأنّها شمسُ الغمامة
15 في ريقها ولحاظها طُرف الفواكه والمدامة
لا والذي خصّ الخليفة بالخلافة والإمامة
وحباه بالنبإ العظيم وبالفضيلة والكرامة
ما خنتُ عهدا للصديق ولا رجعت له ندامة
ولقد وفَيْتُ لمن هوِيتُ كما وفَى كعبُ بن مامة (29)
20 لا خير في الدنيا لمن لا يرتجي دار المقامة

المصدر : عيون . ط 192 ، خ 140 و.

15 – « **ولخليل بن اسحاق** يخاطب الامام (عم) ويذكر له الكتّاب واقتطاعهم الأموال .. (كامل)

اللّه يعلم يا خليفةَ ربِّنا وابنَ الخلائف أنّني لك ناصح
فإذا نصحتُك يا ابنَ بنت محمّد فالحظُّ لي وأنا السعيدُ الرابح

(29) كعب بن مامة : أحد أجواد العرب .

أضحـت دواوينُ الإمام ، ونقصها بعد الزيادة مستبيـنٌ واضـح
ماذا أرى من بعـد أن لَعِـبوا بهـا وتعاقدوا في أخذها وتصالحـوا ؟

المصـدر : عيون ، ط ، ص 193 ، خ ، 140 ظهر .

16 — وله أيضا : (كامل)

بـان الشبـاب فبِـنْ عـن اللـذَّات وتولَّ مُنصرِفـًا عـن الشَّهـوات
واهجُر صواحبَكَ الحسان اللائي في هجر المشايِـخ غيرُ مختلفـات
إن التصابي بالخـرائـد كالدُّمـى لأولي النُّهى والشَّيْب غيرُ مؤات
لله دَرّ فتًـى يَـروحُ ويـغـتـدي حِـذرا مـن الآثـام والشُّبُهات

المصـدر : عيون ، ط ، 193 ، خ 140 ظهر .

17 — حاصر أبو يزيد المهدية ابتداء من جمادي الأولى سنة 944/333 ، وتواصل الحصار إلى صفر 945/334 ، في مناوشات عديدة يتغلب فيها الجانبان سجالا ، دون انتصار واضح ولا هزيمة نهائية . وكان القائم واثقا بتنبُّؤِ أبيه المهديّ الذي جزم بأن أبا يزيد لن يتجاوز المصلّى بظاهر المهدية في طريق القيروان .

ومن هذه الوقائع المتراجحة وقعة « دار قوام » التي تمّت بهزيمة أخرى لأصحاب أبي يزيد « فقال الداعي الأجلّ **جعفر بن منصور اليمن** قصيدته التي أولها : (بسيط)

الحمـد لله هـذا الفتـحُ والظفَـر
هـذا الـذي كـان للإيمـان يُنْتَظَرُ

فاستبشـروا يا رجالَ الديـن وانتدِبُـوا
لحـرب قـوم هـمُ ضلّـوا وهُمْ كفروا

وأيقِنُـوا أنَّ جُـنْـدَ اللّـه غالبُهم
وأنـه ، جـلّ ، لـلإيـمـان ينتصـر

سيُهـزم الجمـعُ إذ جـاؤوا لحربكُمُ
والمـارقـون فقـد خـابـوا وقد خسِروا

5 فإنّ وعـدَ أميـر المؤمنيـن لكـم
حـقّ ، بـه جـاءت الآيـاتُ والسُّوَر

عن جـدّه المصطفى الهـادي وحيدره (30)
وآلـه الغُـرّ ، جـاء العلـمُ والخبر

فلا تَملّـوا ولا عن حربهم تهِنُـوا
وإن بغَوْا وطغَوا في الكفر واأتَشِرُوا (31)

واستنصروا الله واحمُـوا عن حريمِكمُ
ودينكمْ ، وانهضوا للقـوم وابتـدروا

المصـدر :

عيون ، ص 206 ؛ المخطوط ، 151 ظ .

التعليـق :

يظن ايڤانوف (32) أن الداعي جعفرا لم يكن ابنا لمنصور اليمن (الحسن ابن فرح بن حوشب) ، بل حفيدا له . وقد ترك اليمن والتحق بالأئمة بالمهدية في خبر طويل (انظر سيرة الأستاذ جوذر ص 126 والتنبيه عدد 131) .

أما خبر حصار المهدية فقد استغرق الصفحات 201 — 235 من عيون الأخبار ، وانظره ملخصا عند ابن الأثير ، ج 6 ، ص 305 — 308 .

---

(30) حيدر وحيدرة : علي بن أبي طالب .

(31) في المخطوط والمطبوع وأشروا . ولا يستقيم بها الوزن .

(32) المرشد ... ص 21 .

سيُهـزم الجمـعُ إذ جـاؤوا لحربكُمُ
والمـارقـون فقـد خـابـوا وقد خسِروا

5 فإنّ وعـدَ أميـر المؤمنيـن لكـم
حـقٌ ، بـه جـاءت الآيـاتُ والسُّوَر

عن جـدّه المصطفى الهـادي وحيدره (30)
وآلـه الغُـرّ ، جـاء العلـمُ والخبر

فلا تَملّـوا ولا عن حربهم تهِنُـوا
وإن بغَوْا وطغَوا في الكفر واتَشِرُوا (31)

واستنصروا الله واحمُـوا عن حريمِكمُ
ودينكمْ ، وانهضوا للقـوم وابتـدروا

المصـدر :

عيون ، ص 206 ؛ المخطوط ، 151 ظ .

التعليـق :

يظن ايڤانوف (32) أن الداعي جعفرا لم يكن ابنا لمنصور اليمن (الحسن ابن فرح بن حوشب) ، بل حفيدا له . وقد ترك اليمن والتحق بالأئمة بالمهدية في خبر طويل (انظر سيرة الأستاذ جوذر ص 126 والتنبيه عدد 131) .

أما خبر حصار المهدية فقد استغرق الصفحات 201 — 235 من عيون الأخبار ، وانظره ملخصا عند ابن الأثير ، ج 6 ، ص 305 — 308 .

---

(30) حيدر وحيدرة : علي بن أبي طالب .

(31) في المخطوط والمطبوع وأشِروا . ولا يستقيم بها الوزن .

(32) المرشد ... ص 21 .

18 ـ أعلن القائم ولاية العهد لابنه إسماعيل المنصور « لسبع خلون من رمضان سنة 334 .. وكان المنصور يومئذ بلغ ثلاثا وثلاثين سنة » .

وفي عيد الفطر (من سنة 334) خرج المنصور للصلاة من قصره إلى المصلّى ، فصلّى صلاة العيد وقام خطيبا ... »

وقال محمد بن أبي القاسم التونسي **(علي الإيادي)** في ذلك : (طويل)

توسَّمْ صباحَ المجد من أينَ يُشرق
وعَرْفَ الرضى والحِلم من أين يَعبُق

ومثِّلْ ـ على أنّ النجوم كثيرة ـ
بأيِّ سِراج تهتدي فتُوَفَّقُ

لقد صحَّ للمرتاد ما كان يبتغِي
وصاب له الغيثُ الذي كان يُبرقُ

(وقد كانت الأيّام خُرسا فأصبحَتْ
لها ألسُنٌ بالشكر للّه تنطِقُ

5 فما بعد هذا للوسائل ملجأ
ولا للمنى في غيره متعلّق)

تليق بإسماعيل نائرةُ العلا
ويغدو بها من غيره وهو أليق

أمين تَمَنَّتْهُ الرئاسةُ مذ نشأ
تتوق إلى أخلاقه وتَشَوَّقُ

وكانت عيون الأمر من شغَف به
على رِقبة ترنو إليه وتُطبقُ

ترى غُرّةَ الميعاد وهي جليّةٌ
تخُبُّ إلى الميقات فيه وتَعْنَقُ

10 وطلعةَ وجهٍ أكملَ اللّهُ نورَها
يكاد لها ضوءُ النواظر يُرهَق
وأخلاقَ مخلوق من البِرّ والتقى
أظنّ الرضى والحِلم منهنّ يُخلَق
(فقد وضعت تلك المواعيدُ حملها
تماما وكانت قبل ذلك تُطلَق)
شهِدتُ بأنّ اللّه بالغيب عالمٌ
وأنّ أمير المؤمنين موفّق
رأى نجلَه من نعمة الله عنده
يُحاذيه في أحكامه فتُصدّق
15 عليه دليلٌ من تقاهُ وشاهدٌ
يلوح ونورٌ من عُلاه ورونَق
فأبرزه فينا لكلّ مُلمّة
تُناطُ به الآمالُ منّا فتعلَق
ولمّا استهلّتْ بالفواضِل كفُّه
تيقّنَ باغي الرّزق من أين يُرزَق
ومالت أمانيُّ النفوس بأسرها
إليه ، فباتت في ذُراه تُحقّق
فيا صفوةَ اللّه المقدّسةَ التي
تُصبّح منّا بالصلاة وتَغبُق
20 إليك شكونا من أذى بربريّة
نكاد لها لولا ولائِك نفرُق
وهذا بِصُنع اللّه فيك يَصُوننا
ونحنُ به في نَيْل رِفدِك أرفق

المصـــدر :

عيون ، ص 227 ، المخطوط 168 وجه .

التعليـق :

1) أخطأ الداعي إدريس في اسم الشاعر ، فهو علي بن محمد التونسي ، بدليل الكنية «أبو القاسم» المنسوبة إلى والده ، ولا يكنّى أبا القاسم عادة إلا من اسمه محمد ، بالرغم من الحديث : تَسَمَّوْا باسمِي ولا تكنَّوْا بِكُنْيَتي . فهو إذن علي بن أبي القاسم محمد ...

2) نشرنا في مجموعتنا الأولى ثلاثة أبيات : 4 — 5 — 12 من هذه القصيدة ، (انظر الحوليّات ، 1973 ص 106) واعتبرناها — خطأ — جزءا من قصيدة الإيادي في وصف قصر البحر بالمنصورية .

ولا تدع ظروف قصيدة اليوم مجالا للشك في أنها غير تلك ، وإن وافقتها في الوزن والرويّ .

فالايادي مدح المنصور وليَّ عهد ، ومدحه خليفةً ومدح المعزّ كذلك من بعده . ومعلوم أنه عمّر طويلا .

3) ولمزيد من التفاصيل عن الإيادي ، انظر الحوليات في الفصل المشار إليه (ص 97—118) .

19 — وقال **محمد بن أحمد الطرزّي** من قصيدة : (طويل)

يحـقّ لنا أن نُنصِفَ الفخر والمجدا
ونُكثر فيك الشكر للّه والحمدا

طلعتَ بنورٍ يملأ الأرض بهجةً
ونورا ، وكفّ تَبسُط الأملَ الجعدا (33)

---

(33) الجعد من الرجال البخيل اللئيم ، ومن الشعر المتقبض غير المبسوط ، ولعل معنى العجز : وتبسط في كرمك الآمال التي كانت مقبوضة .

المصـــدر :

عيون ، 228 ، المخطوط ، 170 وجه .

التعليــق :

لا نعرف شيئا عن هذا الشاعر . ولعله قيرواني منسوب إلى جبل « طرزّة » المعروف غربيَّ القيروان .



4 — خلافة المنصور (334—341/945—956)

20 — لاحقَ المنصورُ أبا يزيد إلى سهل القيروان «ونصب مضاربه في الموضع الذي بنى فيه المنصورية ، وكان نزوله ظاهرَ القيروان في يوم الخميس لخمس بقين من شوّال سنة 334 ...

وخرج الإمـام المنصـور ... وهـو يصـول بسيف جدّه **ذي الفقار** ، ويحمـل حمـلات الأسـد الكـرّار ، والمظلّة على رأسـه كالعلـم ، فموضعُه معـروف ، والخيـل تكـرّ عليه ألوفـا بعـد ألوف ... وقد أيقـن الناس له بالظفـر ، ورأوا منـه مـن النجـدة ما لم يظنّوه لأحـد من البشـر ...

«وقال **عبد الله بن أصبغ** من قصيدة يذكر فيها قتال **الامام المنصور** بالله (عم) وما كان له في ذلك اليوم : (طويل)

ويـومٍ بـأرض القيـروان شهـدتُـه
وقـد ظـلّ فيـه الجـوّ أغبـرَ أقـتـمـا

وطاشت به الأبطـالُ خوفـا وأخرَسَتْ
لموضـع خطـب يمـلأ السمـعَ والفَـمـا

لـدى معـرَكٍ ضنكٍ تَضايَـقَ للـردى
فلا تسمعُ الأصواتَ الاّ تـغـمـغُـمـا

أزال رجـالا هَـوْلُـه عن صفوفهـم
ونكّـب ذو الإقـدام فيهـا وأحجمـا

5 وقامـت بأهـواء اللعيـن مطامـعٌ
فأقبـل حتّـا كالظليـم مُصَمِّـمَـا

فلمـا دنـا من حَـوْمَـةِ الليث في الوغى
وبـدرُ الدجى جاب الدجونَ متمَّـمَـا

تراءت له تلك الجلالةُ فانثنى
وهابك أن يدنو وأن يتقدّما

فسرتَ إليه مُقدِما متدرّعا
دروعَ يقين أن تصابَ فتُفْصَما

فولاك ظهرا أوْقَرَتْه ذنوبُه
وأعجلَه مَرآك أن يتلوّما

10 فَمَرَّ وكاد الخوف يُضرمُ قلبه
وأنّى لكلبٍ أن يعارض ضَيْغَما !

فيا جمعةً ما كان أعظمَ فضلها
لكِ الله ، جلّ الله ، حيَّى وأنعَما

وعُدتَ إليه عودةً هاشميّةً
فبان عن الأثقالِ رَغْمًا وسلَّما

المصدر :

عيون ، 241 ، خ 179 وجه .

التعليق :

دارت هذه الوقعة بباب تونس ، ويبدو من البيت الحادش أنها وقعت يوم الجمعة (لأربع بقَين من شوال سنة 334) .

ولا نعرف عبد الله بن أصبع هذا ، فيما عدا هذه الأبيات .

21 ــ وقال **محمد بن الحرث بن سعيد الابروطي** : (طويل)

ولم أرَ كالمنصور بالله ناصرا لدينٍ ولا أحمى لمُلكٍ وأمنَعا
هو الملِك المخصوص بالنصر مُلكُه وحافظُ ما قد كان ضاعَ وضُيِّعا

ألـم تر يـومَ القيــروان وُقُـوفَـه وقد همّت الأكبادُ أن تتصدّعا ؟
وأبرز عن وجهٍ من الصبر أبيـضٍ يقابـلُ وجهـا للكريهـة أسعَفَـا

المصــدر :

عيون ، 241 ، المخطوط 173 وجه .

التعليــق :

اسم الشاعر في المطبوع : محمد بن هارون بن سعيد الامروطي .

وقد مرّ بنا إسمه محرّفًا في مقدمة شرح القصيدة الفزارية (انظر الحوليّات 1973 ، ص 154 : محمد بن عبد الله الابرقطي) وكان خصما للسنّة متشيّعا للفاطميّين ، وله مع الشاعر الفزاري مواقف أشرنا إليها في الفصل المذكور .

22 — تواصل القتال على أبواب القيروان « وأطلق البربر النار في بيادر الزرع بباب سلم، وباب أصرم، وباب تونس، وكان بها سنبل عظيم، وطعام، فعلا الدخـان ... وما زال القتـال إلى صلاة المغـرب ... وتناصف البعض من البعض،وعـاد كل إلى معسكره،وقد غطت القتلى وجه الأرض ...

وكان أحد أتباع أبي يزيد وقف على دابّته فسبّ الإمام (عم) فقال المنصور: « اللهم خذ بحقّي منه » ، فما أتمّ قولـه حتى ردّ الرجـل السبَّابُ فرسَه فانقلبت عليه وسار سرج الفرس في بطنه فقتله وحمل عليه الأوليـاء فجزّوا رأسـه ... وكانت تلك آيـة للإمـام المنصـور بالله ، واضحٌ برهانهـا ، ظاهرٌ بيانُها ، عاينها الفريقـان وشاهدها الجمعان ...

وقال بعض الشعـراء في ذلك : (طويل)

دلائـلُ آياتِ الإمامِ كثيــرةٌ تلوح لمن كانت لديْهِ بصائرُ
تردّى التُّقى والصبرُ في كل موطن وصحّت له عند الإلاه سرائـرُ

أَلَم تَـرَهُ حين انبـرى ليَسبَّـهُ	شقي من الأغتام جاف (34) مكابر
فجَنَّدَلَه ذو العرش ساعةَ سَبِّه	وعاجلَه ، والله للحـقِّ ناصـر
5 وما برحت رجلاه حتى تحكّمت	به ، وبأحزاب الضلال ، البواتر

المصـدر :

عيون ، 243 ، المخطوط 180 ظهر .

التعليـق :

لم يُذكَر صاحبُ هذه الأبيات . وان الصبغة « الملحميّة » التي وصف بها المؤلف هذه الوقعةَ تُعطينا صورة من أسلوب الداعي إدريس في التضخيم والتهويل .

دارت هذه الوقعة المتناصفة يوم الثلاثاء لسبع خلون من ذي القعدة سنة 334 .

23 — وصل أبو يزيد في هروبه أمام المنصور إلى جبل سالات قرب المسيلة « واجتمع لمخلد الدجّال جماعة كثيرة من بني كملان جميعا وبني بزوال (بني برزال ؟) وهوارة الغدير وغيرهم من جموع البربر ، ومن الإباضيّة المارقين في جميع الغرب . واستندوا إلى **كيانة وعقار** وهُما جبلان منيعان ... وأقبلوا على عسكر الإمام في جموع عظيمة ، فأسبل الإمام عليه درعه ... وانتضى سيف جدّه ... ونُشرت الالوية بين يديه ... فحين عاينه الدجال قاصدا نحوه ... نكس على عقبَيه مولّيا، ولجموعه مخلّيا، وأدبر أصحابه بعده على الاعقاب ، وعمل فيهم كل صارم قرضاب ...

(34) في المخطوط : خلق ، وتابعنا المطبوع هذه المرة .

وفي صبر الإمام في ذلك اليوم يقول **بعض الشعراء**: (كامل)

يا أيّها الملكُ الـذي عاداتُـه وطباعُـه الإنعـام والإحسان

لك كلَّ يوم آيةٌ لم يأتِـها أحدٌ ولم يفخَـر بها إنسـان

ولأنتَ ذاك الفارسُ الأسد الذي شهـدت لـه وأقـرّت الفرسانُ

المصـدر :

عيون ، 269 ، المخطوط ، 200 وجه .

التعليـق :

كانت هذه المعارك بعد الوقعة المعروفة **بيوم الخصوص** التي أحرق فيها المنصور فازات أبي يزيد وخيامه وأمتعته في جمادى الأولى سنة 335 ، وقد بدأت محاصرة الثوار في جبال المعاضيد شماليّ المسيلة بالجزائر .

هذا ، وإن قائل الأبيات لم يعرف اسمه .

24 ــ شعر **للمنصور** بعد انتصاره على أبي يزيد في يوم الخصوص : (طويل)

تبدّلتُ بعد الزعفران وطِيبِه
صَدَا الدّرع من مُسْتَحْصَدَات المسامرِ

ألم تَرَني بِعتُ المقامةَ بالسُّرى
ولينَ الحشايا بالخيولِ الضوامر ؟

وفتيانِ صدقٍ لا ضغائنَ بينهُمْ
يثورون ثَوْرَات الأسُود الخوادر

أرُوني فتى يُغنِي غَنَائِي ومشهدي
إذا وَهَج الوادي بوقْع الحوافر

5 أنَا الطاهرُ المنصورُ من نَسل أحمد
بسيفي أقُدّ الهامَ تحتَ المغافر

المصدر :

عيون ، 269 ، المخطوط 200 ظهر .

25 — « وكتب **المنصور** إلى ولده وولي عهده المعزّ ، بعد هذه الوقعة : (متقارب)

كتابي إليك منَ اقصى الغُروب | وشوقي إليك طويلٌ طويل
أجوبُ القِفار وأطوي الرمالَ | وأحمِل نفسي لهَول مَهول
أريدُ بذاك رضى خالقي | وإعزازَ دولة آل الرسول
إلى أن برى السَّيْرُ أجسامَنا | وكلَّ الركابُ وتاه الدليل
5 فيا غُربتاه ويا وحشتاه ، | وفي الله هذا قليلٌ قليل
وما ضِقتُ ذَرعا ولكنّني | نهَضْتُ بقلب صَبور حَمول
وقد منّ ذو العرش من فضله | بفتح مُبين وعِزّ جليل
وفي كلّ يوم من الله لي | عطاءٌ جديدٌ وصنعٌ جميل
فللّه حمدٌ على ما قضى | وحسبي بربّي ونعمَ الوكيل

المصدر :

عيون ، 269 ، المخطوط ، 200 ظهر .

26 — اشتدّت مضايقة المنصور لأبي يزيد في جبال كيانة ، ولكن الثائر البربري لم ييأس من الظفر ولا أنصارُه، وواصل القتالَ ، ينصِب الكمين تلوَ الكمين ويَهتبل كلّ فرصة . « ... ولمّا كان السبت لعشرٍ خلت من شعبان (سنة 335) ركب الإمام إلى مدينة أذنة ، وركب معه من الأولياء والعبيد أربعةُ آلاف فارس ، وركب **زيري الصنهاجي** معهم في خمسمائة فارس . وأخذ عليه السلام درقة بيضاء ، وجرّد سيفَه ذا الفقار ، ومشى في تلك الوهاد والتلال ففاجأ الدجّال اللعينَ مفاجأةَ الليث للحمار ووثب عليه وثبة الأسد الكرّار ...

وفرّ الدجال المارقُ معتصما بالوعـر ، وقد توسّط في الوعر خمسة فرسان من الأولياء فيهم زيري بن مناد الصنهاجي ، فعقر الصنهاجي جوادَ أبي يزيد، فأركبه أصحابه على برذون آخر. وقُتل ابن للدّجال اسمه يونس ، وطُعن اللعينُ طعنتين إحداهما بين كتفيه والأخرى في وركه، ومال في سرجه فاحتضنه بعض رجاله ونجّاه الوعر ، وخلّصه أهل البلـد ...

وفي هذا اليوم (يوم المسيلة) يقول الداعي **جعفر بن منصور اليمن** وكان حاضرا تلك الوقعـة : (بسيط)

يهنـأ لك النّصـرُ فيما رمتَ من سبب
يا سيّدَ الخلق من عُجم ومن عربِ

في كلّ يوم يُرينا اللّـه مُعجـزةً
من نصره لك تجلو غُمة الكـرب

وأنـت في كلّ حال تبتني رتَبـا
في المجـد فازدد علاً في المجـد والرتـب

يـومُ المسيلـة يـومٌ لا كفـاء لـه
ولـم يكـن قبلـه في سـالفِ الحِقَـبِ

5 لمّـا غـدا المـارقُ الـدّجـالُ مختبِلا
كالكلـب في سخـف (35) معـداه في الكلب

يـروم غِـرّة جيـش كـان أبـرزه
نجـلُ النبـوة مثـلَ العـارض اللجب

فعنـد منصرَف القـوم استغـار علـى
أواخـرِ الجيـش بالتهويـل والصخـب

(35) في المخطوطة : في سخف ؛ ولعلها « في سجف » ، من سجفت الدابة ضمر بطنها ورقت مفاصلها . والبيت بعد لا يخلو من غموض .

وسيّدُ الخلق إسماعيل حينئذ
في موكب الخيل مثل البدر في الشهب
فكرَّ ، همّته كالليث ، معتزما
على متابعةِ الدجال بالطلب
10 واستنهض الجيشَ عزَماً عن معسكره
وساور الحرب فيمن كان لم يغِب
فارتاع بعضُ نواحي الخيل واضطربت
وسيّدُ الخلق لم يفشَل ولم يهَب
بل صارمٌ كحُسام الجَدّ منصلتٌ
يمضي فيثبت فيه كلّ مضطرب
وسيف جدّيْه أعني ذا الفقارِ ، به
إلى الرشاد استقادَت جَمرةُ العرب
في كفّه ، وله النصر الذي لهما ،
من ذي المعارج فرضٌ جاء في الكتب
15 مشمّرٌ بلباس الحرب مدَّرعٌ
بجَوْشَنٍ من حديد شيب بالذهب
يُحيي القلوبَ سرورا والعيونَ به
كالشمس والليث عند البشر والغَضب
ثم استلاذت به أنصاره زُمَرا
معًا كما لاذت الأفلاكُ بالقُطُب
ولم يزل مذ بدا للناس عادتُه
إذا غدا ناهضًا بالجيش لم يخِب

وعـادة المـارقِ الدّجّـالِ عنه إذا
تـراءت الفِئتـان ، النكـصُ للعقِـب

20 لـم يلقَـهُ عسكـرُ الدجـال في بلَـد
إلاّ ثنى رأسَـه قَسْـرا على الذّنب

فاشتـدّ حَـرُّ وطيس الحرب واستعرت
ترمي بفيهـا معـا بالجَمـر واللهب

فأدبـرَتْ عُصَب الدجّـال وانقلبـت
تحتَ السيـوف الصوادي شرّ منقلَب

يحـاذرون فـلا يُغنيهـمُ الحذر
ويهـرُبـون فـلا ينجُـون بالهـرب

وكيف ـلا ـ كيف ينجـو مَن يكون لـه
مولى البريّـة إسماعيلُ في الطلب ؟

25 فعندهـا صُرع الدجّـال وابتـدرت
لـه الحِراب كصَوْب العارض الخضب

حتى اتّقـاهـا برَجْسٍ من عِصابَتِـه
فمزّقتـه حِـدادُ السُّمـر والقُضُب

وراغ مِن وَقْعهَـا الدجّـالُ ناحيـة
ومـرّ يُهـوي بوجـه تاعِس تـرب

ولّـى وأفلَـتَ من حـدّ الظُّبَـى هَربا
إذ كـان في قتلـه الميقاتُ لـم يجب

ولّـى إلى مـدّةٍ فيهـا منيّتُـه
بعاجـلٍ من عقـاب اللّـه مُقتـرِب

30 وظلَّ أصحابُه صرعى كأنهمُ
أعجازُ نخلٍ قديم العهد منقلِب
مقتّلين ألوفًا في الفَلاَ جُزُرًا
مطرَّحين على الأذقان والرُّكب
وأصبحت هامُهُم مطروحة (36) فِلَقًا
كأنها الحنظل المنقوفُ في السُّهُب
راحوا بخزيٍ وهونٍ غيرِ منصرم
وفَاءَ جندُ الهدى بالعزّ والسَّلَب
يا ابنَ الأئمَّة يا تاجَ النبوّة يا
من لا نظيرَ له في المجد والحسب
35 لا زلتَ في نِعمٍ تَتْرَى سوابغُهَا
وفي سُرورٍ طَوالَ الدهر والحقب
اللّه أعطاك مُلكا وارتضاك له
لمّا اصطفاك بلا شكّ ولا كذب
فالحمدُ لله حمدا دائما أبدا
حمدَ امرىء في مزيد الله مرتقِب

المصدر :

عيون ، 274 ، المخطوط 204 ظهر .

التعليق :

1) هذه هي القصيدة الثانية من شعر جعفر الداعي ، ومخاطبته المنصور لا تدع شكًا في أنه كان ملازما للفاطميين ، هذا علاوة على إشارة صاحب الكتاب : « وكان حاضرا تلك الوقعة » .

---

(36) في المخطوطة : مجموعة .

2) في البيت 28 نجد تبريرا لإفلات أبي يزيد من القتل، وهو أنّ وقته لم يجب ، أي : لم يحن بعد . وهذا النوع من تفسير الأحداث كثير عند الفاطميّين ، نجده عند الداعي إدريس في النصّ الذي نقلنا منه في تقديم القصيدة : « فخلص إلى يومه المقدّر » . كما نجده في موقف القائم عند حصار المهديّة ، فإنه بقي مطمئنّا يكاد لا يبدي حراكا إلى أن بلغ أبو يزيد المصلّى أو مهوى السهم حسب الأسطورة المعروفة .



5 — التشفّي من أبي يزيد

27 — « ... واشتدّت بالدجال العلّة لمّا ناله من السقوط ، فمات قبل الفجر سحرا لليلة بقيت من المحرّم سنة 336 ، والإمام في معسكره ، فأمر به الامام (عم) فسلخ جلده وحشي بالتبن بعد أن أخرجت أحشاؤه ، ومُلّح ، وعُولج حتى ظهرت صورتُه كأنّها ناطقة ، وجُعل في صندوقين طويلين . وأمر الإمام عليه السلام بحمل الصندوقين ، فكان إذا ورد مدينة ، أمر بإخراج ذلك الجلد ، ويحمل على جمل ، ويُلبَس شيئا على رأسه ، ورجل يمسكه من خلفه كي لا يميل ، وينادَى عليه ، وعلى كتفه وصُلبه قِردان يصفعانه ويلعبان عليه » .

وفي ذلك يقول محمد بن ناسك التونسي من قصيدة طويلة : (متقارب)

ففاضت على غير ما ملّة	وقد كثّرَ اللّهُ أوزارَهَا
فأُركِب تمثالُه بازلا	يعزُّ المطيَّ وأكوارَهَا
وزامل قرْدَيْن فوق البعير	كأسرى تفَاوضُ أسرارَها
فما يرعيَان له حُرمَةً	إذا ما القرودُ رعت جارَها
5 وقد علّما قبلَ أن يلقيَاه	وحُدّاً الأكُفَّ وأظفارَهَا
فيا هامةً غادراً صحبُها	وقد هتكَ الصّكُّ أستارهَا
ويا لِحيةً ، ذاك يلهو بها	وهذا يُنتّفُ أوبارَهَا
أتيتَ به خاسئاً حاسراً	يزور القُرى لا كما زارَهَا

المصدر :

عيون ، 306 ، المخطوط ، 231 وجه .

التعليق :

محمد بن ناسك التونسيّ غير معروف . ولعله تحريف آخر لعلي بن محمد الاياديّ التونسي الذي سمّاه المؤلف في مقطوعة سابقة محمد بن أبي

القاسم التونسي ، لا سيما وأن الإيادي تعرّض إلى هذا التمثيل بجثّة الثائر في قصيدة أخرى كنا نشرناها بالمجموعة الأولى (انظر الحوليات ، 1973 ص 102) أوردها الداعي إدريس في كتابه بعد هذه المقطوعة .

28 — « وقال **علي بن محمد الايادي** الشاعر يذكر ارتقاء مخلد بن كيداد الدجال إلى قلعة كيانة ، وما كان من المنصور عليه السلام حتى أمكن الله منه وأسره، ويصف كيف فعل بعد ذلك به : (رمل)

فارتقى الملعون من خِيفته   في ذرى أعيط عال مصمعدٍ...(37)

المصـدر :

عيون ، 307 المخطوط : 231 ظهر .

التعليـق :

نشرنا هذه الأبيات الخمسة عشر في الحوليّات 1973 ص 102 .

29 — « وكان الفزاري الشاعر أيام غلبة الدجال المارق قد مدحه وهجا الأئمة عليهم السلام ، فقال **أبو محمد عبد الرحمان العتقي** يحرّض الإمام المنصور (عم) على الفزاري ... (متقارب)

أمنصور هاشم ، من لا يحبّ   حياتك ، لا صحبَتْه الحياة ...

المصـدر :

عيون ، 308 ، مخطوط ، 232 وجه .

التعليـق :

نشرنا هذه المقطوعة في الحوليات ص 154 ، وأضاف صاحب العيون بيتا — بين الثالث والرابع :

« فَسَبُّكُمُ زلَلٌ لا يُقَالُ   فهل تغفِرِ الزللَ المُوبقاتْ ؟

(37) المصمعد من الأرض : المستقيم ، ورجل صمعد بفتح الميم وسكون العين : صلب .

وكنّا اعتمدنا على مخطوطة شرح القصيدة الفزارية ، فظنّنا – خطأ – أن المحرّض على الفزاري هو الأبروطي الذي مرّ ذكره في المقطوعة 21 .

30 – تحريض آخر للمنصور من **العتقي** على الفزاري : (كامل)

أيظنّ وغد فزارة ظنّ أمرىء جهِلَ العواقب وهو لا يتفكّر ...

المصـدر :

عيون ، 308 ، المخطوط 232 وجه .

التعليـق :

نشرناها أيضا في الحوليّات ص 154 . وزاد عليها صاحب عيون الأخبار هذا البيت الرابع :

واللّه ما المنصورُ عنك بغافل لكن تبيّنتُ الذي يتدبَّـر

31 – « فوافى الفزاري الإمام المنصور بالله (عم) تائبا مستغفرا متنصّلا من فعله معتذرا وأنشده القصيدة الفزارية المعروفة التي أولها : (طويل)

لعمرك ما أوس بن سعدى بقومه ولا سيّد الأوبار قيس بن عاصم ...

المصـدر :

عيون 308 مخطوط 233 وجه . وقد ترك منها تعداد أبطال العرب وأجوادهم ، واكتفى بالقسم المدحيّ (الأبيات 33–63) .

التعليـق :

نشرنا القصيدة الفزارية في الحوليات ، ص 128 .

32 – **وقعة ما واس** : بعد مقتل أبي يزيد ، ترأس الثورة ابنُه فضل ابن مخلد وانحاز إلى جهة قسطيلية (الجريد التونسي) وقفصة فنهض أمير المؤمنين عليه السلام ، ومعه ولده معدّ بن إسماعيل وليّ العهد يوم الاثنين مستهلّ شعبان سنة 336 ...

... ونزل بحصن يقال له **ماواس** ، به نخيل وعيون جارية وهو حصن منيع قد أحاط به واد عميق. وكان أهل ماواس من شيعة فضل بن مخلد المارق، وقد أوى إليهم كل مفسد وسارق ...

فأمَرَّ وليّ عهده المعزّ لدين الله صلوات الله عليه لقتالهم وهو يومئذ حدث السنّ ابنُ سبع عشرة سنة لم يشهد حربا ولا حضر قتالا ...

ولما كان غروب الشمس غلب الأولياء على الحصن وفتحوه عنوة ، وقتلوا أهله وانتهبوا ما فيه ، ولم ينتهكوا حرمة ، ولا استباحوا حرة ... وأمر أمير المؤمنين (عم) بقطع نخيلهم وأشجارهم يوم الثلاثاء مستهل رمضان (سنة 336) .

وقال الداعي جعفر بن منصور اليمن فيما كان للمعزّ (عم) من فتح ماواس : (كامل)

انعـم بعزّك يا ابنَ خيرِ النـاس	وبمـا حبـاكَ اللّهُ فـي مـاواس
من نُصرة لك إذ ذهبْتَ مطالبـا	لعصابة الأرذال والأنجـاس
لمّا طغَوْا متمرّدين وغَـرَّهُمْ	شيطانُهـم بالمكر والوسواس
فتمنّعـوا في حِصنهم واستقبلوا	جيشَ الإمام بجَنْدل وتِراس
5 فعفـا ومنّ عليهـمُ فتعـرّضُـوا	للبـأسِ من ملـكٍ شديدِ الباس
وتحزّبـوا طاغيـن قد عطفتهـمُ	للحَيْن شِقوتُهم على الإبلاس
فهناك أنهضَك الإمـام عليهـمُ	فنهضتَ مثل النور في الإغلاس
في عسكرٍ للمؤمنيـن أعـزّةٍ	بالله لا عُـزلٍ ولا أنكـاس
فسررتَـه يا ابنَ الخليفة بالـذي	مارستَ أوّلَ مشهدٍ ومراس
10 وشفيتَ منهمُ صدرَه وأخذتهُمْ	بالقَسر والإرغام والإتعاس
ساورتَهم في حصنهم متوقّلا(38)	لهمُ بسَوْرة باسلٍ قِنْعَاس

---

(38) توقل الجبل : صعده .

وعزيمةٍ منصورةٍ قـد حفَّهـا جندُ الملائك مـن إلاه النـاس
سُقْـتَ المنايـا والحتـوفَ إليهمُ فأخذتَـهُـمْ بمسالك الأنفاس
بالمشرفيَّـةِ والـرمـاح شَوارعا والنـارِ في شُعَلٍ مـن الأقباس
15 وسحائبِ النُّشَّاب تُمطرُ فوقهم مطَرا كصَوْب العارض الرّجاس
فأبحْتَ حصنهُمُ بيأسِك عَنوةً فاسلم عقيدَ ندى وليثَ مِراس
وقتلتَهُم في رأس حصنٍ لم يكن ليُرامَ في فَطَنٍ ولا بقيـاس
في مثل رَجع الطرفِ صاروا غبرة في الغابرين وعِـبرةً للنـاس
أمسوْا حصيدا خامدين(39) كأنهم ما كـان منهم طاعـمٌ أو كاسِ
20 مازلتَ حين وردْتَ تعركُ جمعَهم وتدُوسُهم بالبِيض كلَّ مداس
حتى صدرتَ بهامِـهِـمْ مقطوعة فوقَ الأسنّة في الظلام الغاسي
وكأنَّ ما قد كان من أجسادِهم جسَدٌ يسير على البـلاد بـراس
فبقيـت للمنصور باللّـه الذي أصفـاه بالملك الجليـل الراسـي
ثمَّ ارتضاك له وليًا في الهـدى والحقِّ ، تنصرُ أهلَـه وتواسي
25 زَهَتِ العُلا بأبي تميمٍ واعتلت دارُ الهدى ووَهتْ قوى الأنجاس
صلّى عليك اللّـه مـا هزّت صبًا أعطافَ خوْطِ البانَةِ الميّاس

المصـدر :

عيون 319 ، المخطوط : 242 وجه .

التعليـق :

لا نعرف موقع حصن ماواس هذا .

33 — قتل باطيط بن يعلى – والي المنصور على المديلة بجبال أوراس – فضل بنَ مخلد لعشر بقين من ذي القعدة (سنة 341) ، وكان فضل المارق قد زحف من جبل أوراس إلى باغاية وحاصرها ...

---

(39) في القرءان : جعلناهم حصيدا خامدين (الأنبياء ، 15) .

وقال في ذلك الداعي **جعفر بن منصور اليمن** : (طويل)

ألا يا أمينَ الله يا عاليَ اليـدِ … ويـا مصطفى آلِ النبيّ محمّدِ
ويا خيرَ من ألقتْ إليه قيادَهَا … أمورُ الورى من ذي مَغيب ومشهد
هنيئا لك التوفيقُ في كلّ حـالة … منَ الله والتأييدُ في كلّ مقصد
ولا زلتَ مسرورا بفتح مبيّـنٍ … مدى الدهر محبُوًّا بنصر مجـدّد
5 أراد النجا إذ فرّ فضلُ بنُ مخلد … لينجُو فما أنجاه طولُ التبعّـد
وألفى المنايا شُرَّعا يقتنصْنَـه … رصَدْنَ له بالحتف في كل مرصد
حتمتَ على كلّ القبائل أخـذَه … وتطْلابَه في كل خبت وفدفد(40)
وطاشت به للحيْن شِقوةُ جَدّه … إلى أجَلٍ وافاه من غير موعد
تعرّض في قصوى النواحي ببغيه … يريدُ من الأيّام ما لم تُعَـوَّدِ
10 فمُدّتْ عيونُ المارقين غضيضةً … إلى مُبرقٍ بالتُرَّهَاتِ ومُرعِد
فثارت له بالمشرفيّات عُصبَةٌ … مخافةَ ليثٍ في المهالك مُـورِدِ
وقامت لسلطان الإمام وسَعْدِه … ونصرٍ لمن والاه بالعزّ مُسعِـد
فدارت رحَى الموت المبيد سريعة … على الناكثِ بنِ المارق المتمرّد
فأضحى ابن دجّالِ النفاق ورأسه … على صعدة تُهوي به كلَّ فدفد
15 يسير بها من قام في نُصرة الهدى … بِداراً إلى باب النجـاح المصمَّد
إلى باب خيرِ الخلق للحمد عندَه … ومن يكتسبْ فعلا من الخير يُحمد
ففاض عليه من عطاياه زاخـرٌ … كذي لجَبٍ يطمو على الشطّ مزبد
ولم يزلِ المنصورُ باللـه قـادرا … يبيد عِداه بالقنـا المتقصّـد
إذا قيل للطاغين في كل بلـدةٍ … سينهض إسماعيل في اليوم أو غد
20 أطارهمُ من قال في كلّ موضع … وأقلقهمْ بالذُعر في كل مقعـد
فأمسوا معا : إمّا طريدا مُـزايلا … حِذاراً وإمّا طائعـا لم يُشـرَّد
فها تلك أقطـار الهـدى وقـراره … مسدّدة فيهـا بهَيْبَـة أصيـد

(40) الخبت : ما أطمأن من الأرض واتسع . والفدفد : المكان الغليظ منها .

فيا خالقَ الدنيا وليُّك قائمٌ بحقّك فانصره على كلّ مُعتد
أبو الطاهر الميمونُ ، أنتَ اصطفيته إماما متمّما عن رسولك أحمد
25 فمهّدْ له الدنيا بأن قد جعلته إماما شهيدا في العباد لمشهد
ألا يا أميرَ المؤمنين لقد قضى لك الله حتما بالعلا فاعلُ وازدد
ودُم للهدى والمكرُمات ممتّعًا بعزّ على طول الزمان مخلّد
فدونكَهَا يا ابن النبيّ محمّد نتيجةَ ودّ خالص متجدّد
فمُنّ أوِ افضُل منعِما بقَبولها فمَن يُعطَ حظًّا من قَبولك يسعد
30 وصلّى عليك اللّه ما قال قائل وما خطّت الاقلام في الطرس بيد

المصدر :

عيون ، 329 ، المخطوط 250 وجه.

التعليق :

هذه القصيدة الرابعة من شعر الداعي جعفر بن منصور اليمن تؤكد مثل سابقاتها أن هذا الداعي اليمني كان يصاحب الأئمة والأمراء الفاطميّين في حروبهم وحملاتهم . وورد في سيرة الأستاذ جوذر (ص 126) أنه كان مقرّبا مبجّلا عند الأئمة وكان يسكن دارا بالمنصورية بجوار علي بن الجنان (وانظر التعليق 131 ص 186 للناشرَين) .

34 — « وقال فيه (في المنصور) **أيّوب بن إبراهيم** : (كامل)

يا ابنَ الإمام المرتضى وابن الوصيّ المصطفى ، وابنَ النبيّ المرسَلِ
اللّه أعطاك الخلافةَ واهبًا ورآك للإسلام أمنعَ معقل
تلك الخلافةُ ، وهي أعظم رتبة نِيلت ، وليست من علاك بأفضل
فمنعت حوزَتَها وحُطت حريمَها بالمشرفيّة والوشيج الذُبّل

المصدر :

المقريزي : اتّعاظ الحنفاء — ص 127 (41) .

---

(41) طبعة الشيال الاولى بالقاهرة 1948 .

فيا خالقَ الدنيا وليُّك قائمٌ بحقّك فانصره على كلّ مُعتد
أبو الطاهر الميمونُ، أنتَ اصطفيته إماما متمًّا عن رسولك أحمد
25 فمهّدْ له الدنيا بأن قد جعلته إماما شهيدا في العباد لمشهد
ألا يا أميرَ المؤمنين لقد قضى لك الله حتما بالعلا فاعلُ وازدد
ودُم للهدى والمكرُمات ممتّعًا بعزّ على طول الزمان مخلّد
فدونكها يا ابن النبيّ محمّد نتيجةَ ودّ خالصٍ متجدّد
فمُنّ أوِ افضُل منُعِما بقبولها فمَن يُعطَ حظًّا من قَبولك يسعد
30 وصلّى عليك اللّه ما قال قائل وما خطّت الاقلام في الطرس بيد

المصدر :

عيون، 329، المخطوط 250 وجه.

التعليق :

هذه القصيدة الرابعة من شعر الداعي جعفر بن منصور اليمن تؤكد مثل سابقاتها أن هذا الداعي اليمني كان يصاحب الأئمة والأمراء الفاطميّين في حروبهم وحملاتهم. وورد في سيرة الأستاذ جوذر (ص 126) أنه كان مقرّبا مبجّلا عند الأئمة وكان يسكن دارا بالمنصورية بجوار علي بن الجنان (وانظر التعليق 131 ص 186 للناشرَين).

34 — «وقال فيه (في المنصور) **أيّوب بن إبراهيم** : (كامل)

يا ابنَ الإمام المرتضى وابن الوصيّ المصطفى، وابنَ النبيّ المرسَلِ
اللّه أعطاك الخلافةَ واهبًا ورآك للإسلام أمنعَ معقل
تلك الخلافةُ، وهي أعظم رتبة نيلت، وليست من علاك بأفضل
فمنعت حوزَتَها وحُطت حريمَها بالمشرفيّة والوشيج الذُبَّل

المصدر :

المقريزي : اتّعاظ الحنفاء — ص 127 (41).

---

(41) طبعة الشيال الاولى بالقاهرة 1948.

فيا خالقَ الدنيا وليُّك قائمٌ بحقّك فانصره على كلّ مُعتدِ
أبو الطاهر الميمونُ، أنتَ اصطفيته إماما مُتمّاً عن رسولك أحمد
25 فمهِّدْ له الدنيا بأن قد جعلته إماما شهيدا في العباد لمشهد
ألا يا أميرَ المؤمنين لقد قضى لك الله حتما بالعلا فَاعْلُ وازدد
ودُم للهدى والمكرُمات ممتّعًا بعزّ على طول الزمان مخلّد
فدونكَهَا يا ابن النبيّ محمّد نتيجةَ ودّ خالصٍ متجدّد
فمُنّ أوِ افضُل مُنعِما بقَبولها فمَن يُعطَ حظّا من قَبولك يسعد
30 وصلّى عليك اللّه ما قال قائل وما خطّت الاقلام في الطرس بيد

المصدر :

عيون ، 329 ، المخطوط 250 وجه.

التعليق :

هذه القصيدة الرابعة من شعر الداعي جعفر بن منصور اليمن تؤكد مثل سابقاتها أن هذا الداعي اليمني كان يصاحب الأئمة والأمراء الفاطميّين في حروبهم وحملاتهم . وورد في سيرة الأستاذ جوذر (ص 126) أنه كان مقرّبا مبجّلا عند الأئمة وكان يسكن دارا بالمنصورية بجوار علي بن الجنان (وانظر التعليق 131 ص 186 للناشرَين) .

34 — « وقال فيه (في المنصور) **أيّوب بن إبراهيم** : (كامل)

يا ابنَ الإمام المرتضى وابن الوصيّ المصطفى ، وابنَ النبيّ المرسَلِ
اللّه أعطاك الخلافةَ واهبًا ورآك للإسلام أمنعَ معقل
تلك الخلافةُ ، وهي أعظم رتبة نيلت ، وليست من عُلاك بأفضل
فمنعت حوزَتَها وحُطت حريمَها بالمشرفيّة والوشيج الذُبَّل

المصدر :

المقريزي : اتّعاظ الحنفاء ـ ص 127 (41) .

---

(41) طبعة الشيال الاولى بالقاهرة 1948 .

التعليــق :

هذه الأبيات تندرج أيضا ضمن الشعر المناصر للفاطميين ، ومعلوم أن المقريزي (ت 1440/845) صاحب الخطط كان لدولتهم مؤرخا ولمذهبهم متشيّعـا .

قائمة الشعراء	رقم المقطوعة	عدد الأبيات
— الابروطي	21	4
— ابن الصيقل (عثمان بن سعيد)	11	33
— ابن عقبـة.....................	3	8
— أيّوب بن إبراهيم	34	4
— التونسـي (؟)..................	2	22
— جعفر بن منصور اليمن	17—26—32—33	101
— خليل بن اسحـاق..............	10 و 12 إلى 16	39
— عبد الله بن إصبع	20	12
— علي الإيادي (؟)	18	21
— العتقي (عبد الرحمان)	29—30	2
— الفهري	1	9
— القائـم	8—9	61
— محمد بن رمضان..............	4—5	20
— محمد الطرزّي................	19	2
— محمد بن ناسك...............	27	8
— المنصور	24—25	14
— المهـديّ	7	7
— مجاهيل....................	6—22—23	9
— المجموع		376